سيرة الإمام البخاري رحمه الله

من هدى الساري لابن حجر

(مُبوَّبة - مُرتّبة)

اعتنى بها
أبو عماد
مساعد بن حامد بن زين الزهراني
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

مركز
مرآة الزمان
للبحث العلمي

الطَّبْعَةُ الأُولَى
1440هـ - 2019 م

ح مساعد حامد زين الزهراني ، ١٤٤٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الزهراني ، مساعد حامد زين
سيرة الإمام البخاري من هُدى الساري للحافظ ابن حجر : مبوبة مرتبة. / مساعد حامد زين الزهراني .- جدة ، ١٤٤٠هـ
٨٩ ص ؛ ..سم
ردمك: ٦-٦٣٣٦-٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- البخاري ، محمد بن اسماعيل ، ت ٢٥٦ هـ أ.العنوان
ديوي ٢٣٤,٦٩ ١٤٤٠/٧٧٣٦
رقم الإيداع: ١٤٤٠/٧٧٣٦
ردمك: ٦-٦٣٣٦-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

مركز مرآة الزمان للبحث العلمي

هاتف: 0567699825
meratalzman@gmail.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ففي ظل الهجمات المتكررة على الإمام البخاري وجامعه الصحيح من الأعداء والجهّال، ممن لا يعرفون لعالِمنا قدره، فالإمام البخاري ﷺ تاج على رؤوس أهل السنَّة، وسيِّدٌ للحفَّاظ، وإمامٌ للنُّقَّاد، ولمّا كانت لسيرته أثرٌ بالغٌ على منهجه في حياته ومصنّفاته، كان لزامًا تقريبها وتيسيرها للأمّة لا سيما في ظلّ الهجمات المتكرّرة عليه وعلى جامعه الصحيح من الأعداء والجُهّال.

ثم إني وقفت على أسطر نفيسة من كتاب شيخنا المحدث الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الشايع من كتابه الماتع «**الكتب الستة وأشهر شروحها وحواشيها وأبرز الدراسات المعاصرة عليها**» حيث ذكر أن من أفضل التراجم للإمام البخاري: ترجمة الحافظ ابن حجر له في «هدى الساري»، ثم قال فضيلته: "لو تصدى عارف للاعتناء بها وإفرادها بالنشر مبوبة مرتبة لحصل بذلك خير كبير".أهـ. فوقعت هذه العبارة في قلبي موضعًا، وعزمت من لحظتها على صنع ذلك، وبتوفيق الله كان، وهو ما ترونه بين أيديكم، والحمد لله على التمام.

✍ وكتب

مساعد بن حامد زين الزهراني

عملي في الكتاب

١– أخذ المادة من كتاب «هُدىٰ الساري» للحافظ ابن حجر، ومقابلتها علىٰ نسخة دار طيبة، ودار التأصيل، ودار السلام.

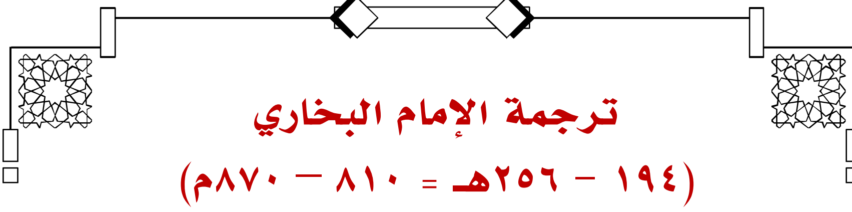
٢- وضع تبويبات مقرّبة للمحتوىٰ.

٣- حذف الأسانيد التي لا حاجة إليها.

٤- ضبط النص كاملًا بالشكل مع وضع علامات الترقيم.

٥- في حال وجود تصحيفٍ أو خطأ يتم التعديل في المتن مباشرة مع التنبيه علىٰ ذلك في الحاشية.

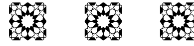




ترجمة الإمام البخاري
(١٩٤ - ٢٥٦هـ = ٨١٠ - ٨٧٠م)

نَسَبُهُ، وَمَوْلِدُهُ، وَمَنْشَؤهُ، وَمَبْدَأُ طَلَبِهِ لِلْحَدِيْثِ

هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ بْنِ الْمُغِيْرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَه الجُعْفِيّ.



مَوْلِدُهُ

وُلِدَ يَوْمَ الجُمُعَةِ بَعْدَ اَلصَّلاةِ، لِثَلاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ وَمِائَةٍ[(١)]، بِبُخَارَىٰ[(٢)].

قَالَ الْمُسْتَنِيْرُ بْنُ عَتِيْقٍ: أَخْرَجَ لِيَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ بِخَطِّ أَبِيْهِ،

---

(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٣/٩٥٩)، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (١/٢٢٧).

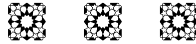
(٢) بضم الباء، من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٣٥٣).

وَجَاءَ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ طُرُقٍ.

وَجَدُّهُ بَرْدِزْبَه بِفَتْحِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ، وَسُكُونِ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ، وَكَسْرِ الدَّالِ المُهْمَلَةِ، وَسُكُوْنِ الزَّايِ المُعْجَمَةِ، وَفَتْحِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ بَعْدَهَا هَاءٌ، هَذَا هُوَ المَشْهُوْرُ فِيْ ضَبْطِهِ، وَبِهِ جَزَمَ ابْنُ مَاكُوْلَا[(١)]، وَقَدْ جَاءَ فِيْ ضَبْطِهِ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَبَرْدِزْبَه بِالفَارِسِيَّةِ: الزَّرَّاعُ، كَذَا يَقُوْلُهُ أَهْلُ بُخَارَىٰ، وَكَانَ بَرْدِزْبَه فَارِسِيًّا عَلَىٰ دِيْنِ قَوْمِهِ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَلَدُهُ المُغِيْرَةُ عَلَىٰ يَدِ اليَمَانِ الجُعْفِيّ، وَالِي[(٢)] بُخَارَىٰ؛ فَنُسِبَ إِلَيهِ نِسْبَةَ وَلاءٍ عَمَلًا بِمَذْهَبِ مَنْ يَرَىٰ أَنَّ مَنْ أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ شَخْصٌ كَانَ وَلَاؤُهُ لَهُ، وَإِنَّمَا قِيْلَ لَهُ الجُعْفِيُّ لِذَلِك.

وأَمَّا وَلَدُهُ إِبْرَاهِيْمُ بْنُ المُغِيْرَةِ، فَلَمْ نَقِفْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِهِ.



---

(١) انظر: ضبط هذا الاسم في الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنىٰ والأنساب لابن ماكولا (١/٢٥٨)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/٦٧)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١/٦٠)، وتاج العروس لمرتضىٰ الزبيدي (٢/٤٥). وقال بعضهم: بزركر؛ وهذا بعيد جدًّا، وقيل: بَزرَوَيه؛ و بَذِذبِه و يَزذِبَه، وغير ذلك مما لا يصح، ينظر للاستزادة كتاب (الإمام البخاري وجامعه الصحيح نظرات وتحقيقات في السيرة والمنهج - من ص ٥٧ إلىٰ ٦٤-) للأستاذ الدكتور خلدون الأحدب.

(٢) تصحّف في هُدىٰ الساري من طبعة دار السلام ص (٦٩٩)، وطبعة دار طيبة ص (١٢٧٨) إلىٰ (وأتىٰ).

والده

وَأمَّا وَالِدُ مُحَمَّدٍ، فَقَدْ ذُكِرَتْ لَهُ تَرْجَمَةٌ فِيْ كِتَابِ الثِّقَاتِ لِابْنِ حِبَّانَ(١). فقال في الطبقةِ الرابِعةِ إسماعيل بن إبراهيمَ والدُ البخاريّ يروي عن حمّاد بنِ زيدٍ ومالكٍ.

وَرَوَىٰ عَنْهُ العِرَاقِيُّونَ، وَذَكَرَهُ وَلَدُهُ فِي التَّارِيْخِ الكَبِيْرِ، فَقَالَ: إِسْمَاعِيْلُ بْنُ إِبْرَاهِيْمَ بْنِ المُغِيْرَةَ، سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَصَافَحَ ابْنَ المُبَارَكِ(٢)، وَسَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيْلٍ قَوْلُ إِسْمَاعِيْلَ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ فِيْ مَالِهِ حَرَامًا وَلَا شُبْهَةً.

وَمَاتَ إِسْمَاعِيْلُ وَمُحَمَّدٌ صَغِيْرٌ، فَنَشَأَ فِيْ حِجْرِ أُمِّهِ ثُمَّ حَجَّ مَعَ أُمِّهِ وَأَخِيْهِ أَحْمَدَ، وَكَانَ أَسَنَّ مِنْهُ، فَأَقَامَ هُوَ بِمَكَّةَ مُجَاوِرًا يَطْلُبُ العِلْمَ وَرَجَعَ

---

(١) الثقات لابن حبان (٨/٩٨ رقم ١٢٤١٦).

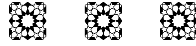
(٢) التاريخ الكبير للبخاري (١/٣٤٢ رقم ١٠٨٤). قال البخاري في تاريخه: (إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو الحسن رأىٰ حماد بن زيد صافح ابن المبارك بكلتا يديه، وسمع مالكًا)، وبهذا السياق يتبين أن الذي صافح ابن المبارك هو حماد بن زيد وليس والد البخاري ﵀، والواو هنا في قوله -وصافح- (زائدة)، قال الحافظ في الفتح (١١/٥٦): قال البخاري: سمع أبي من مالك، ورأىٰ حماد بن زيد يصافح ابن المبارك بكلتا يديه. والعجيب أن هذا التصحيف وقع في: سير أعلام النبلاء (١٢/٣٩٢)، وتاريخ الإسلام كلاهما للحافظ الذهبي، وكذلك طبقات الشافعية الكبرىٰ (٢/٢١٣) للسبكي. انظر: الإمام البخاري وجامعه الصحيح للدكتور خلدون الأحدب ص٦٠ حاشية رقم ٤.

أَخُوْهُ أَحْمَدُ إِلَىٰ بُخَارَىٰ فَمَاتَ بِهَا(١).



من كرامات أمه

رَوَىٰ غُنْجَارُ فِيْ تَارِيْخِ بُخَارَىٰ، وَاللَّالَكَائِيُّ فِيْ «شَرْحِ السُّنَّةِ» فِيْ بَابِ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنْهُ(٢) أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ ذَهَبَتْ عَيْنَاهُ فِيْ صِغَرِهِ، فَرَأَتْ وَالِدَتُهُ الخَلِيْلَ إِبْرَاهِيْمَ فِيْ المَنَامِ فَقَالَ لَهَا: «يَا هَذِهِ، قَدْ رَدَّ اللهُ عَلَىٰ ابْنِكِ بَصَرَهُ بِكَثْرَةِ دُعَائِكِ». قَالَ: فَأَصْبَحَ وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ.



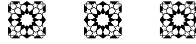
سعة حفظه وإتقانه منذ صغره

وَقَالَ الفِرَبْرِيُّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حَاتِمٍ وَرَّاقَ البُخَارِيّ يَقُوْلُ: سَمِعْتُ البُخَارِيَّ يَقُوْلُ: «أُلْهِمْتُ حِفْظَ الحَدِيْثِ وَأَنَا فِيْ الكُتَّابِ»(٣).

قُلْتُ: وَكَمْ أَتَىٰ عَلَيْكَ إِذْ ذَاكَ؟. فَقَالَ: «عَشْرُ سِنِيْنَ، أَوْ أَقَلُّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مِنَ الكُتَّابِ، فَجَعَلْتُ أَخْتَلِفُ إِلَىٰ الدَّاخِلِيِّ وَغَيْرِهِ، فَقَالَ يَوْمًا فِيْمَا

(١) انظر: طبقات المفسرين للداوودي (١٠٥/٢).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢٠٧/٧) رقم(٢٥٤٩)
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٩٣/١٢)، وتهذيب الكمال للمزي (٤٣٩/٢٤)، والنكت على صحيح البخاري لابن حجر (٨٨/١)، وتاريخ بغداد للخطيب (٧/٢).

كَانَ يَقْرَأُ لِلنَّاسِ: سُفْيَانَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ إِبْرَاهِيْمَ، فَقُلْتُ: إن أَبَا الزُّبَيْرِ لَمْ يَرْوِ عَنْ إِبْرَاهِيْمَ؛ فَانْتَهَرَنِي، فَقُلْتُ لَهُ: ارْجِعْ إِلَىٰ الأَصْلِ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ، فَدَخَلَ فَنَظَرَ فِيْهِ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: كَيْفَ هُوَ يَا غُلَامُ؟ فَقُلْتُ: هُوَ الزُّبَيْرُ، وَهُوَ ابْنُ عَدِيٍّ عَنْ إِبْرَاهِيْمَ، فَأَخَذَ القَلَمَ وَأَصْلَحَ كِتَابَهُ وَقَالَ لِيْ: صَدَقْتَ». قَالَ: فَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ: ابْنُ كَمْ حِيْنَ رَدَدَتَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: «ابْنُ إِحْدَىٰ عَشَرَةَ سَنَةً»، قَالَ: «فَلَمَّا طَعَنْتُ فِيْ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً حَفِظْتُ كُتُبَ ابْنِ المُبَارَكِ وَوَكِيْعٍ. وَعَرَفْتُ كَلَامَ هَؤُلَاءِ- يَعْنِي أَصْحَابَ الرَّأْيِ- قَالَ: «ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَ أُمِّي وَأَخِي إِلَى الحَجِّ».



متى بدأت رحلته في طلب الحديث

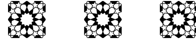
قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: فَكَانَ أَوَّلُ رُحْلَتِهِ عَلَىٰ هَذَا سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَتَيْنِ، وَلَوْ رَحَلَ أَوَّلَ مَا طَلَبَ؛ لَأَدْرَكَ مَا أَدْرَكَتْهُ أَقْرَانُهُ مِنْ طَبَقَةٍ عَالِيَةٍ مَا أَدْرَكَهَا، وَإِنْ كَانَ أَدْرَكَ مَا قَارَبَهَا كَيَزِيْدَ بْنِ هَارُوْنَ وَأَبِيْ دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ[(١)].

---

(١) مراد الحافظ ابن حجر ﷺ أن البخاري أدرك هذين الشيخين وتتلمذ عليهما، ولكن لم يروِ عنهما داخل جامعه إلا معلقًا أو بواسطة، ويصنع البخاري ذلك لنكتة؛ إما في الإسناد أو المتن، وذكر لي بعض أهل العلم ممن أفنىٰ عمره في خدمة البخاري وصحيحه: أن الإمام البخاري استشهد برواية أبي داود الطيالسي في صحيحه عن مجاهد وعطاء وهشام والحسن بن مسلم، وروىٰ له في (القراءة خلف الإمام) وقال لي الشيخ ماهر الفحل -وفقه الله-: إن البخاري لم يروِ عن أبي داود، وكذلك لم يسمع من يزيد بن هارون.
=

وَقَدْ أَدْرَكَ عَبْدَ الرَّزَّاقِ، وَأَرَادَ أَنْ يَرْحَلَ إِلَيْهِ، وَكَانَ يُمْكِنُهُ ذَلِكَ، فَقِيْلَ لَهُ: إِنَّهُ مَاتَ، فَتَأَخَّرَ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى اليَمَنِ ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ عَبْدَ الرَّزَّاقِ كَانَ حَيًّا فَصَارَ يَرْوِيْ عَنْهُ بِوَاسِطَةٍ.

قَالَ: «فَلَمَّا طَعَنْتُ فِيْ ثَمَانِي عَشَرَةَ صَنَّفْتُ كِتَابَ «قَضَايَا الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ»، ثُمَّ صَنَّفْتُ «التَّارِيْخَ فِي المَدِيْنَةِ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ»، وَكُنْتُ أَكْتُبُهُ فِي اللَّيَالِي المُقْمِرَةِ»، قَالَ: «وَقَلَّ اسْمٌ فِي التَّارِيْخِ إِلَّا وَلَهُ عِنْدِيْ قِصَّةٌ؛ إِلَّا أَنِّيْ كَرِهْتُ أَنْ يَطُوْلَ الكِتَابُ»(١).



سَيرُ رَحَلاته في طلب الحديث

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ السَّرِيِّ: قَالَ البُخَارِيُّ: «دَخَلْتُ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ وَالجَزِيْرَةِ مَرَّتَيْنِ، وَإِلَى البَصْرَةِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَأَقَمْتُ بِالحِجَازِ سِتَّةَ أَعْوَامٍ، وَلَا أُحْصِي كَمْ دَخَلْتُ إِلَى الكُوْفَةِ وَبَغْدَادَ مَعَ المُحَدِّثِيْنَ»(٢).

وَقَالَ حَاشِدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ: كَانَ البُخَارِيُّ يَخْتَلِفُ مَعَنَا إِلَى مَشَايِخِ

=

* قلت أبو عماد: روى البخاري عن يزيد بن هارون في صحيحه بواسطة وعلق عنه في المتابعات، وكذلك خرّج لأبي داود الطيالسي في صحيحه فروى عنه بواسطةٍ متابعةً وكذا علّق عنه.

(١) تهذيب الكمال للمزي (٢٤/٤٤٠).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٤٠٧).

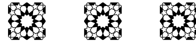
البَصْرَةِ وَهُوَ غُلَامٌ، فَلا يَكْتُبُ حَتَّىٰ أَتَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيَّامٌ، فَلُمْنَاهُ بَعدَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَقَالَ: «قَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَيَّ فَاعْرِضُوا عَلَيَّ مَا كَتَبْتُمْ»، فَأَخْرَجْنَاهُ فَزادَ عَلَىٰ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفِ حَدِيثٍ فَقَرَأَهَا كُلَّهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ حَتَّىٰ جَعَلْنَا نُحْكِمُ كُتُبَنَا مِنْ حِفْظِهِ[١].



متى بدأ البخاري بالتحديث

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي عَتاب الأَعْيُن[٢]: كَتَبْنَا عَنْ محمدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ وَهُوَ أَمْرَدُ عَلَىٰ بَابِ محمدِ بْنِ يُوْسُفَ الفِرْيَابِيّ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: كَانَ مَوْتُ الفِرْيَابِيّ سَنَةَ اثْنَتَي عَشَرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَكَانَ سِنُّ البُخَارِيّ إِذْ ذَاكَ نَحوًا مِنْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا أَوْ دُوْنَها.



البخاري يميّز الرجال، ويحفظ ولا يكتب

قَالَ محمدُ بْنُ الأَزْهَرِ السِّجِسْتَانِيُّ: كُنْتُ فِي مَجْلِسِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَالبُخَارِيُّ مَعَنا يَسْمَعُ وَلَا يَكْتُبُ، فَقِيْلَ لِبَعْضِهِمْ: مَالَهُ لَا يَكْتُبُ؟،

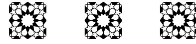
---

(١) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (١/٣٣).

(٢) في الأصل: أبو بكر بن أبي عياش؛ تحريف، وإنما هو أبو بكر بن أبي عتاب. انظر: التقريب (٦١٦٦)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (١/٣٢).

فَقَالَ: يَرْجِعُ إِلَىٰ بُخَارَىٰ وَيَكْتُبُ مِنْ حِفْظِهِ(١).

وَقَالَ محمدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ البُخَارِيِّ: «كُنْتُ فِي مَجْلِسِ الفِرْيَابِيِّ فَقَالَ: حَدَثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي عُرْوَةَ عَنْ أَبِي الخَطَّابِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، فَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ فِي المَجْلِسِ مَنْ فَوْقَ سُفْيَانَ، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَبُو عُرْوَةَ هُوَ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، وَأَبُو الخَطَّابِ هُوَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ، وَأَبُو حَمْزَةَ هُوَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ». قَالَ: «وَكَانَ الثَّوْرِيُّ فَعُوْلًا لِذَلِكَ؛ يُكَنِّي المَشْهُورِيْنَ»(٢).



ذِكْرُ مَرَاتِبِ مَشَايِخِهِ الَّذِيْنَ كَتَبَ عَنْهُمْ وَحَدَّث عَنْهُمْ واختِيَارُه أَهلَ العَقِيدَةَ الصَّافِيَة

رَوَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْبُخَارِيِّ قَالَ: كَتَبْتُ عَنْ أَلْفٍ وَثَمَانِيْنَ نَفْسًا لَيْسَ فِيْهِمْ إِلَّا صَاحِبُ حَدِيْثٍ(٣).

(١) انظر: تغليق التعليق لابن حجر (٥/٣٩١) ، وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري لمحمد الخضر الشنقيطي (١/٨٩).وقد تصحف اسم محمد بن الأزهر في التغليق إلىٰ محب بن الأزهر.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٩٠)، وتغليق التعليق لابن حجر (٥/٣٩١)، وشرح القسطلاني علىٰ صحيح البخاري (١/٣٤).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٨١)، وتغليق التعليق لابن حجر (٥/٣٨٩)، وشرح القسطلاني (١/٣٢).

وَقَالَ أَيْضًا: «لَمْ أَكْتُبْ إِلَّا عَمَّنْ قَالَ: الإِيْمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ»(١).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَيَنْحَصِرُونَ فِي خَمْسِ طَبَقَاتٍ:

الطَّبَقَةُ الأُولَى: مَنْ حَدَّثَهُ عَنِ التَّابِعِيْنَ، مِثْلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيُّ حَدَّثَهُ عَنْ حُمَيْدٍ.

وَمِثْلُ: مَكِّيِّ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ، حَدَّثَهُ عَنْ يَزِيْدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ.

وَمِثْلُ: أَبِي عَاصِمٍ النَّبِيْلِ، حَدَّثَهُ عَنْ يَزِيْدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ أَيْضًا.

وَمِثْلُ: عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مُوسَىٰ، حَدَّثَه عَنْ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ.

وَمِثْلُ: أَبِي نُعَيْمٍ، حَدَّثَهُ عَنِ الأَعْمَشِ.

وَمِثْلُ: خَلَّادِ بْنِ يَحْيَىٰ، حَدَّثَهُ عَنْ عِيْسَىٰ بْنِ طَهْمَانَ.

وَمِثْلُ: عَلِيِّ بْنِ عَيَّاشٍ، وَعِصَامِ بْنِ خَالِدٍ، حَدَّثَاهُ عَنْ حُرَيْزِ بْنِ عُثْمَانَ، وَشُيُوخُ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنَ التَّابِعِيْنَ(٢).

الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ: مَنْ كَانَ فِي عَصْرِ هَؤُلَاءِ، لَكِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ ثِقَاتِ التَّابِعِيْنَ، كَآدَمَ بْنِ أَبِي إِيَاسٍ، وَأَبِي مُسْهِرٍ عَبْدِ الأَعْلَىٰ بْنِ مُسْهِرٍ، وَسَعِيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، وَأَيُّوبَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، وَأَمْثَالِهِمْ.

الطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ: هِيَ الوُسْطَىٰ مِنْ مَشَايِخِهِ، وَهُمْ مَنْ لَمْ يَلْقَ التَّابِعِيْنَ، بَلْ

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨١/١٠)، وتغليق التعليق لابن حجر (٣٨٩/٥).

(٢) وللتوسع في طبقات شيوخ الإمام البخاري ينظر في كتاب البخاري وجامعه الصحيح لخلدون الأحدب صـ ١٥٤-١٦١.

أَخَذَ عَنْ كِبَارِ تَبَعِ الأَتْبَاعِ، كَسُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَقُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيْدٍ، وَنُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ، وَعَلِيِّ بْنِ المَدِيْنِيِّ، وَيَحْيَىٰ بْنِ مَعِيْنٍ، وَأَحمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ راهُويه، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ ابْنَيْ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ.

وَهَذِهِ الطَّبَقَةُ قَدْ شَارَكَهُ مُسْلِمٌ فِي الأَخْذِ عَنْهُمْ.

الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ: رُفَقَاؤُهُ فِي الطَّلَبِ وَمَنْ سَمِعَ قَبْلَهُ قَلِيْلًا، كَمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ الذُّهْليِّ، وَأَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيْمِ صَاعِقَةٍ، وَعَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، وَأَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ نُظَرَائِهِمْ.

وَإِنَّمَا يُخَرِّجُ عَنْ هَؤُلَاءِ مَا فَاتَهُ عَنْ مَشَايِخِهِ، أَوْ مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِهِمْ.

الطَّبَقَةُ الخَامِسَةُ: قَوْمٌ فِي عِدَادِ طَلَبَتِهِ- فِي السِّنِّ وَالإِسْنَادِ- سَمِعَ مِنْهُمْ لِلْفَائِدَةِ، كَعَبْدِ اللهِ بْنِ حَمَّادٍ الآمُلِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي العَاصِ الخَوَارِزْمِيِّ، وَحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ القَبَّانِيِّ، وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ رَوَىٰ عَنْهُمْ أَشْيَاءَ يَسِيْرَةً، وَعَمِلَ فِي الرِّوَايَةِ عَنْهُمْ بِمَا رَوَىٰ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ وَكِيْعٍ، قَالَ: «لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّىٰ يُحَدِّثَ عَمَّنْ هُوَ فَوْقَهُ، وَعَمَّنْ هُوَ مِثْلَهُ، وَعَمَّنْ هُوَ دُونَهُ»(١).

وَعَنِ البُخَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَكُونُ المُحَدِّثُ كَامِلًا حَتَّىٰ يَكْتُبَ عَمَّنْ

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (١/٣٣).

هُوَ فَوْقَهُ، وَعَمَّنْ هُوَ مِثْلَهُ، وَعَمَّنْ هُوَ دُوْنَهُ»[١].



ذِكْرُ سِيْرَتِهِ، وَشَمَائِلِهِ، وَزُهْدِهِ، وَفَضَائِلِهِ

(المال الحلال وأثره في الصلاح والإصلاح)

قَالَ وَرَّاقُهُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ خِرَاشٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أحمد[٢] بْنَ حَفْصٍ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَىٰ إِسْمَاعِيْلَ وَالِدِ أَبِي عَبْدِ اللهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ مِنْ مَالِي دِرْهَمًا مِنْ حَرَامٍ وَلَا دِرْهَمًا مِنْ شُبْهَةٍ[٣].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: وَحَكَىٰ وَرَّاقُهُ أَنَّهُ وَرِثَ مِنْ أَبِيْهِ مَالًا جَلِيْلًا، وَكَانَ يُعْطِيْهِ مُضَارَبَةً، فَقَطَعَ لَهُ غَرِيْمٌ خَمْسَةً وَعِشْرِيْنَ أَلْفًا، فَقِيْلَ لَهُ: اسْتَعِنْ بِكِتَابِ الوَالِيْ، فَقَالَ: «إِنْ أَخَذْتُ مِنْهُمْ كِتَابًا طَمِعُوا، وَلَنْ أَبِيْعَ دِيْنِي بِدُنْيَايَ»، ثُمَّ صَالَحَ غَرِيْمَهُ عَلَىٰ أَنْ يُعْطِيَهُ كُلَّ شَهْرٍ عَشَرَةَ دَرَاهِمٍ، وَذَهَبَ ذَلِكَ المَالُ كُلُّهُ[٤].

---

(١) النكت علىٰ صحيح البخاري لابن حجر (١/٩١)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (١/٣٣).

(٢) في هدىٰ الساري: أحيد. والمثبت هو الصواب، فشيخ ابن خراش هو أحمد بن حفص البخاري. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٧)، وتغليق التعليق (٥/٣٩٤)، والنكت علىٰ صحيح البخاري (١/٩١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٧)، وتغليق التعليق (٥/٣٩٤)، والنكت علىٰ صحيح البخاري (١/٩١).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٧)، وتغليق التعليق (٥/٣٩٤).

وَقَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا تَوَلَّيْتُ شِرَاءَ شَيْءٍ قَطُّ، وَلَا بَيْعَهُ، كُنْتُ آمُرُ إِنْسَانًا فَيَشْتَرِي لِي».

قِيْلَ لَهُ: وَلِمَ؟ قَالَ: «لِمَا فِيْهِ مِنَ الزِّيَادَةِ، وَالنُّقْصَانِ، وَالتَّخْلِيْطِ»(١).

وَقَالَ غُنْجَار فِي تَارِيْخِهِ: «كَانَ حُمِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ بِضَاعَةٌ أَنْفَذَهَا إِلَيْهِ أَبُو حَفْصٍ، فَاجْتَمَعَ بَعَضُ التُّجَّارِ إِلَيْهِ بِالْعَشِيَّةِ، وَطَلَبُوهَا مِنْهُ بِرِبْحِ خَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَقَالَ لَهُمْ: «اِنْصَرِفُوا اللَّيْلَةَ»، فَجَاءَهُ مِنَ الغَدِ تُجَّارٌ آخَرُونَ، فَطَلَبُوا مِنْهُ البِضَاعَةَ بِرِبْحِ عَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَرَدَّهُمْ، وَقَالَ: «إِنِّي نَوَيْتُ البَارِحَةَ أَنْ أَدْفَعَهَا إِلَى الأَوَّلِيْنَ»، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «لَا أُحِبُّ أَنْ أَنْقُضَ نِيَّتِي»(٢).

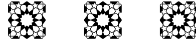
وَقَالَ وَرَّاقُ البُخَارِيّ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «خَرَجْتُ إِلَىٰ آدَمَ بْنِ أَبِي إِيَاسٍ، فَتَأَخَّرَتْ نَفَقَتِي حَتَّىٰ جَعَلْتُ أَتَنَاوَلُ حَشِيْشَ الأَرْضِ، فَلَمَّا كَانَ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ، أَتَانِي رَجُلٌ لَا أَعْرِفُهُ، فَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيْهَا دَنَانِيْرٌ»(٣).

قال: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «كُنْتُ أَسْتَغِلُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ فَأُنْفِقُهَا فِي الطَّلَبِ، وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ»(٤).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّيَارِفِيُّ: كُنْتُ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ فِي

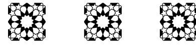
(١) سير أعلام النبلاء (١٠٧/١٠)، وتغليق التعليق (٣٩٤/٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠٨/١٠).
(٣) النكت علىٰ صحيح البخاري (٩٣/١).
(٤) النكت علىٰ صحيح البخاري (٩٣/١).

مَنْزِلِهِ فَجَاءَتْهُ جَارِيَتُهُ، وَأَرَادَتْ دُخُولَ المَنْزِلِ، فَعَثُرَتْ عَلَىٰ مَحْبَرَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهَا: «كَيْفَ تَمْشِيْنَ؟!»، قَالَتْ: إِذَا لَمْ يَكُنْ طَرِيْقٌ كَيْفَ أَمْشِي؛ فَبَسَطَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اذْهَبِي؛ فَقَدْ أَعْتَقْتُكِ». قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَغْضَبَتْكَ؟، قَالَ: «فَقَدْ أَرْضَيْتُ نَفْسِي بِمَا فَعَلْتُ»(١).



البخاري لا يصنع شيئًا بلا علم

وَقَالَ وَرَّاقُ البُخَارِيِّ: رَأَيْتُهُ اِسْتَلْقَىٰ وَنَحْنُ بِفِرَبْرَ(٢) فِي تَصْنِيْفِ كِتَابِ «التَّفْسِيْرِ»(٣)، وَكَانَ أَتْعَبَ نَفْسَهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ فِي التَّخْرِيْجِ؛ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُكَ تَقُوْلُ: «مَا أَتَيْتُ شَيْئًا بِغَيْرِ عِلْمٍ». فَمَا الفَائِدَةُ فِي الِاسْتِلْقَاءِ؟، قَالَ: «أَتْعَبْتُ نَفْسِي اليَوْمَ، وَهَذَا ثَغْرٌ خَشِيْتُ أَنْ يَحْدُثَ حَدَثٌ مِنْ أَمْرِ العَدُوِّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْتَرِيْحَ، وَآخُذَ أُهْبَةً، فَإِنْ غَافَصَنَا العَدُوُّ(٤) كَانَ بِنَا حِرَاكٌ».



---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/١١١)، وشرح القسطلاني (١/٣٧).

(٢) بكسر أوله وقد فتحه بعضهم، وثانيه مفتوح ثم باء موحدة ساكنة، وراء: بليدة بين جيحون وبخارىٰ، بينها وبين جيحون نحو الفرسخ، وكان يعرف برباط طاهر بن علي، وقد خرج منها جماعة من العلماء. معجم البلدان (٤/٢٤٥).

(٣) للبخاري ﷺ كتاب (التفسير الكبير) لكن يظهر أنه لم يكمله وأنه في عداد ما فُقد قديمًا من مصنفات الإمام البخاري. انظر: البخاري وجامعه الصحيح لخلدون الأحدب ص ١٧٣.

(٤) يَعْنِي: بَاغَتَنَا هَاجَمَنَا. غافص الرجلَ مُغَافصة، وغفاصًا: أخذه علىٰ غِرَّة. المحكم والمحيط الأعظم (٥/٤٢٤).

مهارته في الرمي، وتورعه عن أي مظلمة

قَالَ وَرَّاقُهُ: وَكَانَ يَرْكَبُ إِلَى الرَّمْيِ كَثِيرًا، فَمَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُهُ فِي طُوْلِ مَا صَحِبْتُهُ أَخْطَأَ سَهْمُهُ الهَدَفَ إِلَّا مَرَّتَيْنِ؛ بَلْ كَانَ يُصِيبُ فِي كُلِّ ذَلِكَ وَلَا يُسْبَقُ(١).

قَالَ: وَرَكِبْنَا يَوْمًا إِلَى الرَّمْيِ وَنَحْنُ بِفِرَبْرَ فَخَرَجْنَا إِلَى الدَّرْبِ الَّذِيْ يُؤَدِّيْ إِلَى الفُرْضَةِ(٢)، فَجَعَلْنَا نَرْمِي فَأَصَابَ سَهْمُ أَبِي عَبْدِ اللهِ وَتَدَ القَنْطَرَةِ الَّتِيْ عَلَى النَّهْرِ؛ فَانْشَقَّ الوَتَدُ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ؛ نَزَلَ عَنْ دَابَّتِه؛ فَأَخَرَجَ السَّهْمَ مِنَ الوَتَدِ، وَتَرَكَ الرَّمْيَ، وَقَالَ لَنَا: ارْجِعُوا؛ فَرَجَعْنَا، فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا جَعْفَرٍ، لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ- وَهُوَ يَتَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ-؛ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «تَذْهَبُ إِلَى صَاحِبِ القَنْطَرَةِ فَتَقُولَ إِنَّا أَخْلَلْنَا بِالوَتَدِ؛ فَنُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لَنَا فِي إِقَامَةِ بَدَلِهُ، أَوْ تَأْخُذَ ثَمَنَهُ وَتَجْعَلَنَا فِي حِلٍّ مِمَّا كَانَ مِنَّا». وَكَانَ صَاحِبُ القَنْطَرَةِ حُمَيْدُ بْنُ الأَخْضَرِ، فَقَالَ لِي: أَبْلِغْ أَبَا عَبْدِ اللهِ السَّلامَ وَقُلْ لَهُ: أَنْتَ فِي حِلٍّ مِمَّا كَانَ مِنْكَ فَإِنَّ جَمِيْعَ مُلْكِي لَكَ الفِدَاءُ. فَأَبْلَغْتُهُ الرِّسَالَةَ؛ فَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَظْهَرَ سُرُورًا كَثِيْرًا، وَقَرَأَ ذَلِكَ اليَوْمَ لِلْغُرَبَاءِ خَمْسَمِائَةِ حَدِيْثٍ، وَتَصَدَّق بِثَلَاثِمائَةِ دِرْهَمٍ(٣).

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِأَبِي مَعْشَرٍ الضَّرِيْرِ: «اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ يَا أَبَا

---

(١) تاريخ بغداد (٢/١٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢/٧١)، وتغليق التعليق (٥/٣٩٦)، والنكت على صحيح البخاري (١/٩٢).

(٢) فُرضَة البحر محط السّفن وفرضة النهر مشرب الماء منه.

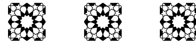
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٥).

مَعْشَرٍ»، فَقَالَ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟، فَقَالَ: «رَوَيْتُ حَدِيْثًا يَوْمًا، فَنَظَرْتُ إِلَيْكَ وَقَدْ أُعْجِبْتَ بِهِ وَأَنْتَ تُحَرِّكُ رَأْسَكَ وَيَدَيْكَ؛ فَتَبَسَّمْتُ مِنْ ذَلِكَ»، قَالَ: أَنْتَ فِي حِلٍّ يَرْحَمُكَ اللهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ[١].



ذو دعوة مستجابة

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «دَعَوْتُ رَبِّي مَرَّتَيْنِ فَاسْتَجَابَ لِي -يَعْنِي: فِي الحَالِ- فَلَنْ أُحِبَّ أَنْ أَدْعُو بَعْدُ؛ فَلَعَلَّهُ يُنْقِصُ حَسَنَاتِي»[٢].



تورعه عن الغيبة وحفظ لسانه عن الفُحش

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَا يَكُونُ لِي خَصْمٌ فِي الآخِرَةِ، فَقُلْتُ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَنْقِمُونَ عَلَيْكَ التَّارِيْخَ، يَقُولُونَ فِيْهِ اغْتِيَابُ النَّاسِ، فَقَالَ: «إِنَّمَا رُوِّيْنَا ذَلِكَ رِوَايَةً، وَلَمْ نَقُلْهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا»[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٥)، وتغليق التعليق (٥/٣٩٦).والمراد من ذلك أن البخاري يعتذر إلىٰ أبي معشر عن ابتسامته علىٰ تحريك أبي معشر رأسه تحرّزًا من أن يكون ذلك من قبيل الغيبة و الهمز واللمز.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٨)، وتغليق التعليق (٥/٣٩٦، ٣٩٧).

(٣) النكت علىٰ صحيح البخاري (١/٩٢)، وتغليق التعليق (٥/٣٩٧).

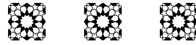
وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِئْسَ أَخُو العَشِيْرَةِ»(١).

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا اغْتَبْتُ أَحَدًا قَطُّ مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ الغِيْبَةَ حَرَامٌ»(٢).

قُلْتُ: وَلِلْبُخَارِيِّ فِي كَلامِهِ عَلَىٰ الرِّجَالِ تَوَقٍّ زَائِد(٣)، وَتَحَرٍّ بَلِيغٌ، يَظْهَرُ لِمَنْ تَأَمَّلَ كَلامَهُ فِي الجَرْحِ وَالتَّعْدِيْلِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يَقُولُ: سَكَتُوا عَنْهُ، فِيْهِ نَظَرٌ، تَرَكُوهُ، وَنَحوَ هَذَا(٤).

وَقَلَّ أَنْ يَقُولَ: كَذَّابٌ أَوْ وَضَّاعٌ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: كَذَّبَهُ فُلَانٌ، رَمَاهُ فُلَانٌ -يَعْنِي بِالكَذِبِ-.

قَالَ بَكْرُ بْنُ مُنِيرٍ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيَّ يَقُولُ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَا يُحَاسِبَنِي أَنِّي اغْتَبْتُ أَحَدًا»(٥).



---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١).

(٢) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي (٦٨٧/٢)، وتغليق التعليق (٣٩٧/٥).

(٣) في هدىٰ الساري: توق زائدة.

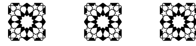
(٤) النكت علىٰ صحيح البخاري (٩٢/١)، وتغليق التعليق (٣٩٧/٥).

(٥) شرح القسطلاني (٣٧/١)، وتغليق التعليق (٣٩٨/٥).

خشوعه

قَالَ بَكْرُ بْنُ مُنِيرٍ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيُّ ذَاتَ يَوْمٍ يُصَلِّي فَلَسَعَهُ الزُّنْبُورُ(١) سَبْعَ عَشَرَةَ مَرَّةً، فَلَمَّا قَضَىٰ صَلاتَهُ قَالَ: «انْظُرُوا أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الَّذِي آذَانِي فِي صَلاتِي»، فَنَظَرُوا؛ فَإِذَا الزُّنْبُورُ قَدْ وَرَّمَهُ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ مَوْضِعًا، وَلَمْ يَقْطَعْ صَلاتَهُ(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: وَرُوِّيْنَاهَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَرَّاقِهِ، وَقَالَ فِي آخِرِهَا: «كُنْتُ فِي آيَةٍ فَأَحْبَبْت أَنْ أُتِمَّهَا».



تواضعه، وكرمه، وجوده، وزهده في الطعام

وَقَالَ وَرَّاقُهُ أَيْضًا: كُنَّا بِفِرَبْرَ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يَبْنِي رِبَاطًا مِمَّا يَلِيْ بُخَارَىٰ؛ فَاجْتَمَعَ بَشَرٌ كَثِيْرٌ يُعِيْنُونَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَكَانَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ، فَكُنْتُ أَقُولُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنَّكَ تُكفَىٰ ذَلِكَ. فَيَقُولُ: «هَذَا الَّذِي يَنْفَعُنِيْ». قَالَ: وَكَانَ ذَبَحَ لَهُمْ بَقَرَةً فَلَمَّا أَدْرَكَتْ القُدُورَ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ الطَّعَامِ، فَكَانَ مَعَهُ مِائَةُ نَفْسٍ أَوْ أَكْثَرُ، وَلَمْ يَكُنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ مَا اجْتَمَعَ، وَكُنَّا أَخْرَجْنَا مَعَهُ مِنْ فِرَبْرَ خُبْزًا بِثَلاثَةِ دَرَاهِمَ، وَكَانَ الخُبْزُ إِذْ ذَاكَ خَمْسَةُ أَمْنَانٍ بِدِرْهَمٍ، فَأَلْقَيْنَاهُ

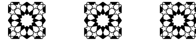
(١) الزُّنبور مفرد وجمعه زنابير: وهي من الذباب اللّسّاع ويشبه النحلة ولا ينتج عسلًا.
(٢) النكت على صحيح البخاري (٢/٩٢)، وتغليق التعليق (٥/٣٩٨)، وتاريخ بغداد (٢/١٢)، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلي (١/٢٧٦).

بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ؛ فَأَكَلَ جَمِيْعُ مَنْ حَضَرَ وَفَضُلَتْ أَرْغِفَةٌ صَالِحَةٌ[١].

وَقَالَ: وَكَانَ قَلِيْلَ الأَكْلِ جِدًّا، كَثِيْرَ الإِحْسَانِ إِلَىٰ الطَّلَبَةِ، مُفْرِطَ الكَرَمِ[٢].

وَحَكَىٰ أَبُو الحَسَنِ يُوسُفُ بْنُ أَبِي ذَرٍّ البُخَارِيُّ: أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ مَرِضَ؛ فَعَرَضُوا مَاءَهُ عَلَى الأَطِبَّاءِ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا المَاءَ يُشْبِهُ مَاءَ بَعْضِ أَسَاقِفَةِ النَّصَارَىٰ فَإِنَّهُمْ لَا يَأْتَدِمُونَ؛ فَصَدَّقَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ، وَقَالَ: «لَمْ أَتَّدِمْ مُنْذُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً».

فَسَأَلُوا عَنْ عِلَاجِهِ، فَقَالُوا: عِلَاجُهُ الأدمُ، فَامْتَنَعَ، حَتَّىٰ أَلَحَّ عَلَيْهِ المَشَايِخُ وَأَهْلُ العِلْمِ؛ فَأَجَابَهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَأْكُلَ مَعَ الخُبْزِ سُكَّرَةً[٣].



قيامه وقراءته للقرآن

وعن مسبّح بن سَعيدٍ[٤]، قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَيُصَلِّي بِهِمْ، وَيَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ عِشْرِيْنَ آيَةً، وَكَذَلِكَ إِلَىٰ أَنْ يَخْتِمَ القُرْآنَ. وَكَانَ يَقْرَأُ فِي السَّحَرِ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠٩/١٠)، وتغليق التعليق (٣٩٨/٥).

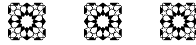
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠٩/١٠)، وتغليق التعليق (٣٩٨/٥).

(٣) النكت على صحيح البخاري (٩٣/١)، وتغليق التعليق (٣٩٨/٥).

(٤) في (هدي الساري): (مِقْسَمِ بن سعيد)، وهو خطأ، والصواب (مسبّح بن سعيد)، وهو البخاري الوراق أبو جعفر.

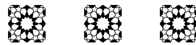
مَا بَيْنَ النِّصْفِ إِلَى الثُّلُثِ مِنَ القُرْآنِ، فَيَخْتِمُ عِنْدَ السَّحَرِ فِي كُلِّ ثَلاثِ لَيَالٍ. وَكَانَ يَخْتِمُ بِالنَّهَارِ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَتْمَةً، وَيَكُوْنُ خَتْمُهُ عِنْدَ الإِفْطَارِ كُلَّ لَيْلَةٍ، وَيَقُولُ: «عِنْدَ كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»(١).

قَالَ وَرَّاقُهُ: وَكَانَ يُصَلِّي فِيْ وَقْتِ السَّحَرِ ثَلَاثَ عَشَرَةَ رَكْعَةً، وَيُوْتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَة(٢).



خِفّةُ نومه، ويقظته المتكررة، وشفقته على تلامذته

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ الوَرَّاقُ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ إِذَا كُنْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ يَجْمَعُنَا بَيْتٌ وَاحِدٌ إِلَّا فِي القَيْظِ، فَكُنْتُ أَرَاهُ يَقُوْمُ فِي اللَّيْلَةِ الوَاحِدَةِ خَمْسَ عَشَرَةَ مَرَّةً إِلَى عِشْرِيْنَ مَرَّةً، فِي كُلِّ ذَلِكَ يَأْخُذُ القَدَّاحَةَ؛ فَيُوْرِي نَارًا بِيَدِهِ وَيُسْرِجُ، وَيُخْرِجُ أَحَادِيْثَ فَيُعَلِّمُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَضَعُ رَأْسَهُ؛ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ تَحْمِلُ عَلَى نَفْسِكَ كُلَّ هَذَا وَلَا تُوْقِظُنِيْ؟، قَالَ: «أَنْتَ شَابٌّ؛ فَلَا أُحِبُّ أَنْ أُفْسِدَ عَلَيْكَ نَوْمَكَ»(٣).



---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣/٥٢٤ رقم ٢٠٥٨)، وفي ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (١/١١١ رقم ٤٢٥)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٧/٢٦٠) مرفوعًا.

(٢) شرح القسطلاني (١/٣٧)، والنكت على صحيح البخاري (١/٩٣)، وتغليق التعليق (٥/٣٩٩)، وتاريخ بغداد (٢/١٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/٨٥)، وتغليق التعليق (٥/٣٩٩)، وتاريخ بغداد (٢/١٤).

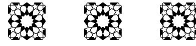
تبركه بشعر النبي ﷺ

قَالَ وَرَّاقُهُ: وَكَانَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ، يَجْعَلُهُ فِي مَلْبُوْسِهِ.



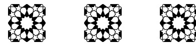
بُعده عن التدليس، وتوقّيه الرواية عمن فيه نظر

قَالَ وَرَّاقُهُ: وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ خَبَرِ حَدِيْثٍ: «يَا أَبَا فُلَانٍ، تَرَانِيْ أُدَلِّسُ! وَقَدْ تَرَكْتُ عَشْرَةَ آلَافِ حَدِيْثٍ لِرَجُلٍ فِيْهِ نَظَرٌ، وَتَرَكْتُ مِثْلَهَا أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا لِغَيْرِهِ لِي فِيْهِ نَظَرٌ»(١).



صيانته للمساجد بإبعاد القذاة عنها

قال مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُوْرٍ: كُنَّا فِيْ مَجْلِسِ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ البُخَارِيِّ، فَرَفَعَ إِنْسَانٌ مِنْ لِحْيَتِهِ قَذَاةً وَطَرَحَهَا إِلَىٰ الأَرْض. قَالَ: فَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ النَّاسِ، فَلَمَّا غَفَلَ النَّاسُ؛ رَأَيْتُهُ مَدَّ يَدَهُ فَرَفَعَ القَذَاةَ مِنَ الأَرْضِ فَأَدْخَلَهَا فِيْ كُمِّهِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ رَأَيْتُهُ أَخْرَجَهَا وَطَرَحَهَا عَلَىٰ الأَرْضِ؛ فَكَأَنَّهُ صَانَ المَسْجِدَ عَمَّا تُصَانُ عَنْهُ لِحْيَتُهُ.



---

(١) تاريخ بغداد (٢/٢٥)، وتاريخ دمشق (٥٢/٧٧)، وتغليق التعليق (٥/٤٠٠).

من شِعره رحمه الله

أَخْرَجَ الحَاكِمُ فِيْ تَارِيْخِهِ[(١)] مِنْ شِعْرِهِ قَوْلَهُ:

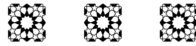
اغْتَنِمْ فِيْ الفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوْعٍ ... فَعَسَى أَنْ يَكُوْنَ مَوْتُكَ بَغْتَهْ

كَمْ صَحِيْحٍ رَأَيْتَ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ... ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيْحَةُ فَلْتَهْ

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: وَكَانَ مِنَ العَجَائِبِ أَنَّهُ هُوَ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ أَوْ قَرِيْبًا مِنْهُ، كَمَا سَيَأْتِي فِيْ ذِكْرِ وَفَاتِهِ.

وَلَمَّا نُعِيَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ الحَافِظُ أَنْشَدَ:[(٢)]

إِنْ عِشْتَ تُفْجَعُ بِالأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ ... وَبَقَاءُ نَفْسِكَ لَا أَبَا لَكَ أَفْجَعُ



ذِكْرُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَتَعْظِيْمِهِمْ لَهُ

فَأَوَّلُهُمْ مَشَايِخُهُ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ وَنَظَرَ إِلَيْهِ يَوْمًا فَقَالَ: هَذَا يَكُوْنُ لَهُ صِيتٌ. وَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَفْصٍ نَحْوَهُ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ: «كُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ يَقُوْلُ: بَيِّنْ

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/٢٣٥)، والرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت لابن البنا (١/٦٠).

(٢) طبقات المفسرين للداودي (١/٢٤٥)، والمقفى الكبير للمقريزي (٤/٢٣٤)، وتغليق التعليق (٥/٤٠٠).

لَنَا غَلَطَ شُعْبَةَ»[(١)].

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ البُخَارِيَّ يَقُوْلُ: «كَانَ إِسْمَاعِيْلُ بْنُ أَبِيْ أُوَيْسٍ إِذَا انْتَخَبْتُ مِنْ كِتَابِهِ؛ نَسَخَ تِلْكَ الأَحَادِيْثَ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: هَذِهِ الأَحَادِيْثُ انْتَخَبَهَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ مِنْ حَدِيْثِي».

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: «اجْتَمَعَ أَصْحَابُ الحَدِيْثِ فَسَأَلُوْنِي أَنْ أُكَلِّمَ لَهُمْ إِسْمَاعِيْلَ بْنَ أَبِيْ أُوَيْسٍ؛ لِيَزِيْدَهُمْ فِيْ القِرَاءَةِ، فَفَعَلْتُ فَدَعَا الجَارِيَةَ فَأَمَرَهَا أَنْ تُخْرِجَ صُرَّة دَنَانِيْرَ، وَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، فَرِّقْهَا عَلَيْهِمْ. قُلْتُ: إِنَّمَا أَرَادُوْا الحَدِيْثَ، قَالَ: أَجَبْتُكَ إِلَى مَا طَلَبُوْا مِنَ الزِّيَادَةِ غَيْرَ أَنِّيْ أُحِبُّ أَنْ يُضَمَّ هَذَا إِلَى ذَاكَ».

قَال: «وَقَالَ لِي ابْنُ أَبِيْ أُوَيْسٍ: انْظُرْ فِيْ كُتُبِيْ، وَجَمِيْعُ مَا أَمْلِكُ لَكَ وَأَنَا شَاكِرٌ لَكَ أَبَدًا مَا دُمْتُ حَيًّا».

وَقَالَ حَاشِدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ: قَالَ لِيَ أَبُوْ مُصْعَبٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِيْ بَكْرٍ الزُّهْرِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ أَفْقَهُ عِنْدَنَا وَأَبْصَرُ بِالحَدِيْثِ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: جَاوَزْتَ الحَدَّ، فَقَالَ لَهُ أَبُوْ مُصْعَبٍ: لَوْ أَدْرَكْتَ مَالِكًا وَنَظَرْتَ إِلَى وَجْهِهِ وَوَجْهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ؛ لَقُلْتَ: كِلَاهُمَا وَاحِدٌ فِيْ الحَدِيْثِ وَالفِقْهِ[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٣)، والنكت على صحيح البخاري (١/٩٤)، وتغليق التعليق (٥/٤٠٠).

(٢) شرح القسطلاني (١/٣٦)، وتغليق التعليق (٥/٤٠٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: عَبَّرَ بِقَوْلِهِ: «وَنَظَرْتُ إِلَىٰ وَجْهِهِ»، عَنِ التَّأَمُّلِ فِي مَعَارِفِه(١).

وَقَالَ عَبْدَانُ بْنُ عُثْمَانَ المَرْوَزِيُّ: مَا رَأَيْتُ بِعَيْنِي شَابًّا أَبْصَرَ مِنْ هَذَا. وأَشَارَ إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ(٢).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ قُتَيْبَةَ البُخَارِيُّ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَاصِمٍ النَّبِيْلِ، فَرَأَيْتُ عِنْدَهُ غُلَامًا، فَقُلْتُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ؟ قَالَ: «مِنْ بُخَارَىٰ». قُلْتُ: ابْنُ مَنْ؟ قَالَ: «ابْنُ إِسْمَاعِيْلَ»؛ فَقُلْتُ: أَنْتَ مِنْ قَرَابَتِي. فَقَالَ لِي رَجُلٌ بِحَضْرَةِ أَبِي عَاصِمٍ: هَذَا الغُلَامُ يُنَاطِحُ الكِبَاشَ- يَعْنِي: يُقَاوِمُ الشُّيُوْخَ(٣).

وَقَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيْدٍ: جَالَسْتُ الْفُقَهَاءَ وَالزُّهَّادَ وَالعُبَّادَ؛ فَمَا رَأَيْتُ مُنْذُ عَقَلْتُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ، وَهُوَ فِيْ زَمَانِهِ كَعُمَرَ فِيْ الصَّحَابَةِ(٤).، وَعَنْ قُتَيْبَةَ أَيْضًا قَالَ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ فِيْ الصَّحَابَةِ لَكَانَ آيَةً(٥).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ الهَمْدَانِيُّ: كُنَّا عِنْدَ قُتَيْبَةَ، فَجَاءَ رَجُلٌ شَعْرَانِيٌّ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٣، ٩٤)، والنكت علىٰ صحيح البخاري (١/٩٤)، وتغليق التعليق (٥/٤٠٠)، وذلك لكثرة علوم الإمام البخاري ﷺ، وسَعَة مداركه، وقد يظهر علم الرجل أحيانًا في تقاسيم وجهه وجبينه، فيُقال: هذا وجه عالم!

(٢) شرح القسطلاني (١/٣٦)، وتغليق التعليق (٥/٤٠٢).

(٣) شرح القسطلاني (١/٣٦)، وتغليق التعليق (٥/٤٠٢).

(٤) قال حاشد بن إسماعيل: سمعت قتيبة يقول: مَثَلُ محمد بن إسماعيل عند الصحابة في صِدقة وورعِة كما كان عمر في الصحابة. سير أعلام النبلاء (١٠/٩٩)

(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٩) شرح القسطلاني (١/٣٦)، وتغليق التعليق (٥/٤٠٢).

يُقَالُ لَهُ أَبُوْ يَعْقُوْبَ فَسَأَلَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ؛ فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ نَظَرْتُ فِيْ الحَدِيْثِ وَنَظَرْتُ فِيْ الرَّأْيِ، وَجَالَسْتُ الفُقَهَاءَ وَالزُّهَّادَ وَالعُبَّادَ؛ فَمَا رَأَيْتُ مُنْذُ عَقَلْتُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ.

قَالَ: وَسُئِلَ قُتَيْبَةُ عَنْ طَلَاقِ السَّكْرَانِ، فَدَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ؛ فَقَالَ قُتَيْبَةُ لِلسَّائِلِ: هَذَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوْيَه، وَعَلِيُّ بْنُ المَدِيْنِيُّ، قَدْ سَاقَهُمُ اللهُ إِلَيْكَ. وَأَشَارَ إِلَى البُخَارِيِّ[(١)].

وَقَالَ أَبُوْ عَمْرٍو الكِرْمَانِيُّ: حَكَيْتُ لمهْيَارٍ بِالبَصْرَةِ عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيْدٍ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ رَحَل إِلَيَّ مِنْ شَرْقِ الأَرْضِ وَمِنْ غَرْبِهَا فَمَا رَحَلَ إِلَيَّ مِثْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ. فَقَالَ مِهْيَارٌ: صَدَقَ قُتَيبَةُ، أَنَا رَأَيْتُهُ مَعَ يَحْيَى بْنِ مَعِيْنٍ وَهُمَا جَمِيْعًا يَخْتَلِفَانِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ، فَرَأَيْتُ يَحْيَى مُنْقَادًا لَهُ فِيْ المَعْرِفَةِ[(٢)].

وَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ سَلَامٍ: كَانَ الرُّتُوْتُ مِنْ أَصْحَابِ الحَدِيْثِ مِثْلَ سَعِيْدِ بْنِ أَبِيْ مَرْيَمَ وَحَجَّاجِ بْنِ مِنْهَالٍ، وَإِسْمَاعِيْلَ بْنِ أَبِيْ أُوَيْسٍ، وَالحُمَيْدِيِّ، وَنُعَيْمِ بْنِ حَمَّاد، وَالعَدَنِيّ، يَعْنِي: مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ أَبِيْ عُمَرَ، وَالخَلَّالِ، يَعْنِيْ: الحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ الحُلْوَانِيَّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ مَيْمُوْنَ هُوَ الخَيَّاطُ، وَإِبْرَاهِيْمَ بْنِ المُنْذِرِ، وَأَبِيْ كُرَيْبٍ مُحَمَّدِ بْنِ العَلَاءِ، وَأَبِيْ سَعِيْدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيْدٍ الأَشَجِّ، وَإِبْرَاهِيْمَ بْنِ مُوْسَى هُوَ الفَرَّاءُ، وَأَمْثَالِهِمْ؛ يَقْضُوْنَ لِمُحَمَّدِ بْنِ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩٢/١٠)، وطبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٢٢٢/٢)، وتغليق التعليق (٤٠٢/٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩٨/١٠)، والبداية والنهاية (٣١/١١)، وتغليق التعليق (٤٠٢/٥).

إِسْمَاعِيْلَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فِيْ النَّظَرِ وَالمَعْرِفَةِ(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: الرُّتُوْتُ بِالرَّاءِ المُهْمَلَةِ، وَالتَّاءِ المُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقٍ وَبَعْدَ الوَاوِ مُثَنَّاةٌ أُخْرَىٰ: هُمُ الرُّؤَسَاءُ. قَالَهُ ابْنُ الأَعْرَابِيّ وَغَيْرُه(٢).

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: مَا أَخْرَجَتْ خُرَاسَانُ(٣) مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ(٤). رَوَاهَا الخَطِيْبُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنْ أَبِيْهِ وَلَمَّا سَأَلَهُ ابْنُهُ عُبْدُ اللهِ عَنِ الحُفَّاظِ فَقَالَ: «شُبَّانٌ مِنْ خُرَاسَانَ». فَعَدَّهُ فِيْهِمْ فَبَدَأَ بِهِ(٥).

وَقَالَ يَعْقُوْبُ بْنُ إِبْرَاهِيْمَ الدَّوْرَقِيُّ، وَنُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الخُزَاعِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيُّ فَقِيْهُ هَذِهِ الأُمَّةِ(٦).

وَقَالَ بُنْدَارٌ؛ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ: هُوَ أَفْقَهُ خَلْقِ اللهِ فِيْ زَمَانِنَا(٧).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٦)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/٧٠)، وتغليق التعليق (٥/٤٠٢).

(٢) مجمل اللغة لابن فارس (١/٣٧١)، وتاج العروس للزبيدي (٤/٥٢٤).

(٣) بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق -أزاذوار - قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل علىٰ أمّهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو. معجم البلدان (٢/٣٥٠).

(٤) شرح القسطلاني (١/٣٦).

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/.٣٢٦).

(٦) طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٢/٢٢٣).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٨)، وشرح القسطلاني (١/٣٧).

وَقَالَ الفِرَبْرِيُّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِيْ حَاتِمٍ يَقُوْلُ: سَمِعْتُ حَاشِدَ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ يَقُوْلُ: كُنْتُ بِالبَصْرَةِ فَسَمِعْتُ بِقُدُوْمِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشّارٍ: قَدِمَ اليَوْمَ سَيِّدُ الفُقَهَاءِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيْمَ البُوْشَنْجِيُّ: سَمِعْتُ بُنْدَارًا سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ يَقُوْلُ: مَا قَدِمَ عَلَيْنَا مِثْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ. وَقَالَ بُنْدَارٌ: أَنَا أَفْتَخِرُ بِهِ مُنْذُ سِنِيْنَ[1].

وَقَالَ مُوْسَىٰ بْنُ قُرَيْشٍ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوْسُفَ التِّنِّيْسِيُّ لِلْبُخَارِيِّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ انْظُرْ فِيْ كُتُبِيْ وَأَخْبِرْنِيْ بِمَا فِيْهَا مِنَ السَّقْطِ، فَقَالَ: «نَعَمْ».

وَقَالَ البُخَارِيُّ: «دَخَلْتُ عَلَىٰ الحُمَيْدِيِّ، وَأَنَا ابْنُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةَ- يَعْنِي: أَوَّلَ سَنَةٍ حَجَّ- فَإِذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آخَرِ اخْتِلَافٌ فِيْ حَدِيْثٍ، فَلَمَّا بَصُرَ بِيْ؛ قَالَ: جَاءَ مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَنَا، فَعَرَضَا عَلَيَّ الخُصُوْمَةَ، فَقَضَيْتُ لِلْحُمَيْدِيِّ، وَكَانَ الحَقُّ مَعَهُ»[2].

وَقَالَ البُخَارِيُّ: «قَالَ لِيْ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ البِيْكَنْدِيّ انْظُرْ فِيْ كُتُبِيْ، فَمَا وَجَدْتَ فِيْهَا مِنْ خَطَأٍ فَاْضْرِبْ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: مَنْ هَذَا الفَتَىٰ؟. فَقَالَ: هَذَا الَّذِيْ لَيْسَ مِثْلُهُ»[3].

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ المَذْكُوْرُ يَقُوْلُ: كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ

(١) تاريخ بغداد للخطيب (٢/١٧)، وتاريخ دمشق (٥٢/٨٤).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٨٤).
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢/٧٧).

إِسْمَاعِيْلَ؛ تَحَيَّرتُ، وَلَا أَزَالُ خَائِفًا مِنْهُ. يَعْنِي: يَخْشَىٰ أَنْ يُخْطِئَ بِحَضْرَتِهِ.

وَقَالَ سَلِيْمُ بْنُ مُجَاهِدٍ: كُنْتُ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ، فَقَالَ لِيْ: لَوْ جِئْتَ قَبْلُ؛ لَرَأَيْتَ صَبِيًّا يَحْفَظُ سَبْعِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ[(١)].

وَقَالَ حَاشِدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ: رَأَيْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهُوْيَه جَالِسًا عَلَىٰ المِنْبَرِ وَالبُخَارِيُّ جَالِسٌ مَعَهُ وَإِسْحَاقُ يُحَدِّثُ، فَمَرَّ بِحَدِيْثٍ، فَأَنْكَرَهُ مُحَمَّدٌ؛ فَرَجَعَ إِسْحَاقُ إِلَىٰ قَوْلِهِ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ الحَدِيْثِ، انْظُرُوْا إِلَىٰ هَذَا الشَّابِ واكْتُبُوْا عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِيْ زَمَنِ الحَسَنِ بْنِ أَبِيْ الحَسَنِ البَصْرِيّ لاحْتَاجَ إِلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ بِالحَدِيْثِ وَفِقْهِهِ[(٢)].

وَقَالَ البُخَارِيُّ: «أَخَذَ إِسْحَاق بْنُ رَاهُوْيَه كِتَابَ التَّارِيْخِ الَّذِيْ صَنَّفْتُهُ؛ فَأَدْخَلَهُ عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ الأَمِيْر فَقَالَ: أَيُّهَا الأَمِيْرُ، أَلَا أُرِيْكَ سِحْرًا»[(٣)].

وَقَالَ أَبُوْ بَكْرٍ المَدِيْنِيُّ: كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوْيَه، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ حَاضِرٌ، فَمَرَّ إِسْحَاقُ بِحَدِيْثٍ وَدَوَّنَ صَحَابِيَّهُ عَطَاءَ الكَيْخَاراني[(٤)]،

(١) تاريخ بغداد (٢/٢٤)، وتاريخ دمشق (٥٢/٦٣).
(٢) تاريخ بغداد (٢/٢٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/٨٥)، وتاريخ دمشق (٥٢/٧٥).
(٤) وقع في الأصل (الكنجاراني و كنجاران)، وهو تصحيف، وجاء في تغليق التعليق علىٰ الصواب (٥ /٤٠٦)، ووقع في طبعة دار طيبة علىٰ الصواب كذلك -الكيخاراني- (٢ /١٢٧٩). انظر: معجم البلدان (٧/٦٧٢) والسير للذهبي (١٢/٤١٥)، وكتاب مراصد الاطلاع علىٰ أسماء الأمكنة والبقاع (٣/١١٩١) حيث قال: -كيخاران=

فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِيْشْ[١] هِيَ كَيْخَارَانْ ؟. قَالَ: «قَرْيَةٌ بِاليَمَنِ، كَانَ مُعَاوِيَةُ بَعَثَ هَذَا الرَّجُلَ الصَّحَابِيَّ إِلَى اليَمَنِ، فَسَمِعَ مِنْهُ عَطَاءٌ هَذَا حَدِيْثَيْنِ». فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، كَأَنَّكَ شَهِدْتَ القَوْمَ[٢].

وَقَالَ البُخَارِيُّ: «كُنْتُ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوْيَه، فَسُئِلَ عَمَّنْ طَلَّقَ نَاسِيًا فَسَكَتَ طَوِيْلًا مُفَكِّرًا. فَقُلْتُ أَنَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَثَتْ بِه أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ**»[٣] وَإِنَّمَا يُرَادُ مُبَاشَرَةُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثُ العَمَلُ وَالقَلْبُ أَوْ الكَلَامُ وَالقَلْبُ وَهَذَا لَمْ يَعْتَقِدْ بِقَلْبِهِ فَقَالَ لِيْ إِسْحَاقَ: قَوّيتنِيْ قَوَّاكَ اللهُ، وَأفتَى بِهِ»[٤].

وَقَالَ أَبُوْ الفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ النَّيْسَابُوْرِيُّ: حَدَّثَنِي فَتْحُ بْنُ نُوْحٍ النَّيْسَابُوْرِيُّ، قَالَ: أَتَيْتُ عَلِيَّ بْنَ المَدِيْنِيِّ، فَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ جَالِسًا عَنْ يَمِيْنِهِ، وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ الْتَفَتَ إِلَيْهِ مَهَابَةً لَهُ[٥].

وَقَالَ البُخَارِيُّ: «مَا اسْتَصْغَرْتُ نَفْسِيْ عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ

=

- بالفتح، ثم السكون، وخاء معجمة، وراء، وآخره نون: من قرى اليمن. وفي معجم البلدان (٤/٤٩٧): كيخاران؛ بالفتح ثم السكون، وخاء معجمة، وراء، وآخره نون: موضع بفارس!.

(١) وهي كلمة فصيحة تعني: أيّ شيْ.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٦٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦/١٤٠).

(٥) تاريخ بغداد (٢/١٨)، وتاريخ دمشق (٥٢/٨٣).

المَدِيْنِيِّ، وَرُبَّمَا كُنْتُ أُغْرِبُ عَلَيْهِ»(١).

قَالَ حَامِدُ بْنُ أَحْمَدَ: فَذُكِرَ هَذَا الكَلَامُ لِعَلِيِّ بْنِ المَدِيْنِيِّ، فَقَالَ لِيْ: دَعْ قَوْلَهُ، هُوَ مَا رَأَىٰ مِثْلَ نَفْسِهِ(٢).

وَقَالَ البُخَارِيُّ أَيْضًا: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ المَدِيْنِيِّ يَسْأَلُنِيْ عَنْ شُيُوْخِ خُرَاسَانَ فَكُنْتُ أَذْكُرُ لَهُ مُحَمَّدَ بْنَ سَلَامٍ، فَلَا يَعْرِفُهُ، إِلَىٰ أَنْ قَالَ لِيْ يَوْمًا: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ كُلُّ مَنْ أَثْنَيْتَ عَلَيْهِ فَهُوَ عِنْدَنَا الرِّضَىٰ»(٣).

وَقَالَ البُخَارِيُّ: «ذَاكَرَنِيْ أَصْحَابُ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ الفَلَّاسِ بِحَدِيْثٍ، فَقُلْتُ: لَا أَعْرِفُهُ؛ فَسُرُّوْا بِذَلِكَ، وَصَارُوْا إِلَىٰ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ فَقَالُوْا لَهُ: ذَاكَرْنَا مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ بِحَدِيْثٍ فَلَمْ يَعْرِفْهُ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ: حَدِيْثٌ لَا يَعْرِفُهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ لَيْسَ بِحَدِيْثٍ»(٤).

وَقَالَ أَبُوْ عَمْرٍو الكِرْمَانِيُّ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ عَلِيٍّ الفَلَّاسَ يَقُوْلُ: صَدِيْقِيْ أَبُوْ عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيُّ لَيْسَ بِخُرَاسَانَ مِثْلُهُ(٥).

وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ رَجَاءٍ الْحَافِظُ: فَضْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ عَلَىٰ الْعُلَمَاءِ

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/٥٠).
(٢) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (١/٢١٣).
(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/٥٠).
(٤) تاريخ بغداد (٢/١٨)، وتهذيب الكمال للمزي (٢٤/٤٥٤).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٨).

كَفَضْلِ الرِّجَالِ عَلَىٰ النِّساءِ[١].

وَقَالَ أَيْضًا: هُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، تَمْشِيْ عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ[٢].

وَقَال الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ: لَا أَعْلَمُ أَنِّيْ رَأَيْتُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ؛ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ إِلَّا لِلْحَديثِ[٣].

وَقَال أَحمْدُ بْنُ الضَّوْءِ: سَمَّعَتُ أَبَا بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ يَقُولَانِ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ[٤].

وَكَانَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ يُسمِّيْهِ البَازِلُ؛ يَعْنِي: الْكَامِلُ[٥].

وَقَالُ أَبُوْ عِيْسَىٰ التِّرْمِذِيُّ: كَانَ مُحَمَّدُ بُنُ إِسْمَاعِيْلَ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُنِيْرٍ، فَقَالَ لَهُ لَمَّا قَامَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، جَعَلَكَ اللهُ زَيْنَ هَذِهِ الأُمَّةِ. قَالَ أَبُوْ عِيْسَىٰ: فَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيْهِ[٦].

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الفِرَبْرِيُّ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُنِيرٍ يَكْتُبُ عَنِ البُخَارِيِّ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَنَا مِنْ تَلَامِذَتِهِ[٧].

---

(١) تاريخ بغداد (٢/٢٥)، وتاريخ دمشق (٥٢/٨٧).
(٢) تاريخ بغداد (٢/٢٥)، وتاريخ دمشق (٥٢/٨٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٤).
(٤) تاريخ بغداد (٢/١٩)، وتاريخ دمشق (٥٢/٨٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٦).
(٦) طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٢/٢٢١)، وتهذيب التهذيب (٩/٥٣).
(٧) سير أعلام النبلاء (١٠/٩١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مُنِيرٍ مِنْ شُيُوْخِ الْبُخَارِيِّ، قَدْ حَدَّثَ عَنْهُ فِيْ الجَامِعِ الصَّحِيحِ، وَقَالَ: لَمْ أُرَ مِثْلَهُ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ(١).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِيْ حَاتِمٍ الْوَرَّاقُ: سَمِعْتُ يَحْيَىٰ بْنَ جَعْفَرٍ البيكَنْدِيَّ يَقُولُ: لَوْ قَدِرْتُ أَنْ أَزِيْدَ مِنْ عُمْرِيْ فِيْ عُمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ لَفَعَلْتُ؛ فَإِنَّ مَوْتِيْ يَكُوْن مَوْتَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَمَوْتُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ فِيْهِ ذَهَابَ العِلْمِ(٢).

وَقَالَ أَيْضًا: سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ: لَوْلَا أَنْتَ مَا اسْتَطَبْتُ الْعَيْشَ بِبُخَارَىٰ(٣).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْنَدِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ إِمَامٌ فَمَنْ لَمْ يَجْعَلْهُ إِمَامًا فَاتَّهِمْهُ. وَقَالَ أَيْضًا: حُفَّاظُ زَمَانِنَا ثَلَاثَةٌ؛ فَبَدَأَ بِالبُخَارِيِّ(٤).

وَقَال عَلَيُّ بْنُ حُجْرٍ: أَخْرَجَتْ خُرَاسَانُ ثَلاثَةً، الْبُخَارِيُّ، فَبَدَأَ بِهِ. قَالَ: وَهُوَ أَبْصَرَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ بِالْحَدِيثِ وَأَفْقَهَهُمْ. قَالَ: وَلَا أَعْلَمُ أَحَّدًا مِثْلَهُ(٥).

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ السُّرمَارِيُّ(٦): مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ فَقِيهٍ بِحَقِّهِ

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/٤١٥).
(٢) تاريخ دمشق (٥٢/٨٨)، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٢/٢٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٢)، وتاريخ الإسلام (٦/١٤٠).
(٤) تاريخ بغداد (٢/٢٨)، وتاريخ دمشق (٥٢/٦٨).
(٥) تاريخ بغداد (٢/٢٧)، وتهذيب الكمال (٢١/٣٩٧).
(٦) بضم السين المهملة والميم المفتوحة والألف بين الراءين، هذه النسبة إلىٰ قرية من قرىٰ بخارىٰ يقال لها: سُرمَارىٰ. الأنساب للسمعاني (٧/١٢٥).

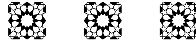
وَصِدْقِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ(١).

وَقَالَ حَاشِدٌ: رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ زُرَارَةَ وَمُحَمَّدَ بْنَ رَافِعٍ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ وَهُمَا يَسْأَلَانِهِ عَنْ عِلَلِ الحَدِيْثِ، فَلَمَّا قَامَا قَالَا لِمَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ: لَا تُخْدَعُوا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ أَفْقَهُ مِنَّا وَأَعْلَمُ وَأَبْصَرُ(٢).

قَالَ: وَكُنَّا يَوْمًا عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ راهُويَه وَعَمْرِو بْنِ زُرَارَةَ وَهُوَ يَسْتَمْلِي عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ وَأَصْحَابُ الحَدِيْثِ يَكْتُبُوْنَ عَنْهُ، وَإِسْحَاقُ يَقُولُ: هُوَ أَبْصَرُ مِنِّي، وَكَانَ أَبُوْ عَبْدِ اللهِ إِذْ ذَاكَ شَابًّا(٣).

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُوْ بَكْرٍ الإِسْمَاعِيْلِيُّ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الفِرْهِيَانِيُّ قَالَ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ ابْنِ إِشْكَابَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ ذَكَرَ اسْمَهُ مِنْ الْحفاظِ، فَقَالَ: مَا لَنَا بِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ مِنْ طَاقَةٍ؛ فَقَامَ ابْنُ إِشْكَابَ، وَتَرْكَ الْمَجْلِسَ غَضَبًا مِنَ التَّكَلُّمِ فِي حَقِّ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ: لَمَّا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ النَّيْسَابُوْرِيُّ رَكِبَ إِسْحَاقُ بْنُ راهُويَه وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ يُشَيِّعَانِ جَنَازَتَهُ وَكُنْتُ أَسْمَعُ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ يَنْظُرُوْنَ وَيَقُوْلُوْنَ: مُحَمَّدٌ أَفْقَهُ مِنْ إِسْحَاقَ(٤).



---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٢).

(٢) تاريخ بغداد (٢/٢٧)، وتاريخ دمشق (٥٢/٧٠)، وتهذيب التهذيب (٩/٥٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٢)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٢٣).

ذِكْرُ طَرَفٍ مِنَ ثَنَاءِ أَقْرَانه، وَطَائِفَةٍ مِنْ أَتبَاعِهِ عَلَيْهِ تَنْبِيهًا بِالبَعْضِ عَلَى الْكَلِّ

قَالَ أَبُوْ حاَتِمٍ الرَّازِيُّ: لَمْ تُخْرِجْ خُرَاسَانُ قَطُّ أَحْفَظَ مِنْ مُحَمَّدِ بْن إِسْمَاعِيْلَ، وَلَا قَدِمَ مِنْهَا إِلَىٰ الْعِرَاقِ أَعْلَمَ مِنْه.

وَقَالُ مُحَمَّدُ بْنُ حُرَيْثٍ: سَأَلْتُ أَبَا زُرْعَةَ عَنْ ابن لَهِيْعَةَ، فَقَالَ لِيْ: تَرَكَهُ أَبُوْ عَبْدِ اللهِ؛ يَعْنِيْ: الْبُخَارِيَّ(١).

وَقَالُ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ المَعْرُوْفُ بِالعِجْلِيِّ: مَا رَأَّيْتُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ، وَمُسْلِمٌ حَافِظٌ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ(٢).

قَالَ العِجْلِيُّ: وَرَأَيْتُ أَبَا زُرْعَةَ وَأَبَا حَاتِمٍ يَسْتَمِعَانِ إِلَيهِ، وَكَانَ أُمَّةً مِنْ الأُمَمِ دَيِّنًا فَاضِلًا يُحْسِنُ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَانَ أَعلمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ الذُّهْلِيِّ بِكَذَا وَكَذَا(٣).

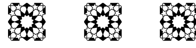
وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ: قَدْ رَأَّيْتُ العُلَمَاءَ بِالحَرَمَيْنِ وَالحِجَازِ وَالشَّامِ وَالعِرَاقِ، فَمَا رَأَيْتُ فِيهِمْ أَجْمَعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ(٤).

---

(١) تاريخ بغداد (٢/٢٣).
(٢) تاريخ بغداد (٢/٢٩)، وتاريخ دمشق (٥٢/٨٥).
(٣) تاريخ بغداد (٢/٢٩)، وتاريخ دمشق (٥٢/٨٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٠)، وتاريخ الإسلام (٦/١٤٠).

وَقَالَ أَيْضًا: هُوَ أَعْلَمُنَا وَأَفْقَهُنَا وَأَكْثَرُنَا طَلَبًا.

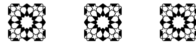
وَسُئِلَ الدَّارِمِيُّ عَنْ حَدِيْثٍ وَقِيْلَ لَهُ: إِنَّ البُخَارِيَّ صَحَّحَهُ. فَقَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ أَبَصَرُ مِنِّيْ، وَهُوَ أَكْيَسُ خَلْقِ اللَّهِ، عَقَلَ عَنِ اللهِ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَىٰ عَنْهُ فِيْ كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ، إِذَا قَرَأَ مُحَمَّدٌ القُرْآنَ؛ شُغِلَ قَلْبُهُ وَبَصَرُهُ وَسَمْعُهُ، وَتَفَكَّرَ فِي أَمْثَالِهِ وَعَرَفَ حَلالَهُ مِنْ حَرَامِهِ[(١)].



عبقرية البخاري في الحفظ وتفضيل الناس له

وَقَالَ أَبُوْ الطَّيِّبِ حَاتِمُ بْنُ مَنْصُوْرٍ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ فِيْ بَصَرِهِ وَنَفَاذِهِ فِيْ العِلْمِ[(٢)].

وَقَالَ أَبُوْ سَهْلٍ مَحْمُودُ بْنُ النَّضْرِ الفَقِيهُ: دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ وَالشَّامَ وَالحِجَازَ وَالكُوْفَةَ وَرَأَيْتُ عُلَمَاءَهَا، فَكُلَّمَا جَرَىٰ ذِكْرُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ فَضَّلُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ[(٣)].



---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/.(٤٢٦

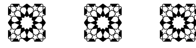
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٧).

(٣) تاريخ بغداد (٢/١٩)، وتاريخ دمشق (٥٢/٨٩)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/٦٩).

أمنية عجيبة

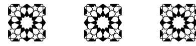
وَقَالَ أَبُوْ سَهْلٍ أَيْضًا: سَمِعْتُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِيْنَ عَالِمًا مِنْ عُلَمَاءِ مِصْرَ يَقُوْلُوْنَ: حَاجَتُنَا فِي الدُّنْيَا النَّظَرُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ(١).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَمَّادٍ الآمُلِيّ(٢): لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَعْرَةً فِيْ جَسَدِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ.



عدد من يحضر مجالسه رحمه الله

وَقَال أَيْضًا: كَانَ أَحَفَظَهُمْ لِلْحَدِيثِ، قَالَ: وَكُنْتُ أَسْتَمْلِيْ لَهُ بِبَغْدادَ فَبَلَغَ مَنْ حَضَرَ المَجْلِسَ عِشْرِيْنَ أَلْفًا(٣).



مقارنة في الحفظ بين البخاري وأبي زرعة

وَسُئِلَ الحَافِظُ أَبُوْ العَبَّاسِ الفَضْلُ بْنُ العَبَّاسِ المَعْرُوْفُ بِفَضْلَك

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٦).

(٢) وقع في بعض النسخ من الهدي -الأُبُلي-، وفي كوثر المعاني (١/٩٨) -الأَيلِي-، ووقع في تغليق التعليق (٥/٤١٢) و إرشاد الساري (١/٣٧) على الصواب: وهو عبد الله بن حماد الآمُلِي: وهو الأموي من أهل خراسان قدم بغداد فحدث بها وهو من شيوخ البخاري توفي نحو ٢٦٧ وقيل بعدها. وما ذكر من الأبلي والأيلي فتصحيفٌ.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/١٠٠).

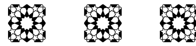
الـرَّازِيّ: أَيُّهُمَا أَحْفَظ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ، أَوْ أَبُوْ زُرْعَةَ؟ فَقَالَ: لَمْ أَكُنْ الْتَقَيْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ، فَاسْتَقْبَلَنِي مَا بَيْنَ حُلْوَانَ[١] وَبَغْدَادَ. قَالَ: فَرَجَعْتُ مَعَهُ مَرْحَلَةً، وَجَهِدْتُ كُلَّ الجَهْدِ عَلَىٰ أَنْ آتِيَ بِحَدِيْثٍ لَا يَعْرِفُهُ، فَمَا أَمْكَنَنِيْ، وَهَا أَنَا ذَا أُغْرِبُ عَلَىٰ أَبِيْ زُرْعَةَ عَدَدَ شَعْرِ رَأْسِهِ[٢].



كتاب أهل بغداد إليه

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ الدَّغُوْلِيُّ: كَتَبَ أَهْلُ بَغْدَادَ إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيّ كِتَابًا فِيْهِ:

الْمُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ مَا بَقِيْتَ لَهُمْ وَلَيْسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حِيْنَ تُفْتَقَدُ[٣]



---

(١) حلوان العراق، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، وقيل: إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت به. معجم البلدان (٢٩٠/٢).

(٢) تاريخ بغداد (٢٣/٢)، وتاريخ دمشق (٣٤٦/٤٨).

(٣) سير السلف الصالحين لقوام السنة (١١٧٨/١)، وتاريخ دمشق (٩١/٥٢).

ثناء الأئمة
ابن خزيمة، والترمذي، ومسلم وغيرهم
على الإمام البخاري

قَالَ إِمَامُ الأَئِمَّةِ أَبُوْ بَكَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ: مَا تَحْتَ أَدِيْمِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ بِالحَدِيْثِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ[(١)].

وَقَالَ أَبُوْ عِيْسَىٰ التِرْمِذِيُّ: لَمْ أُرَ أَعْلَمَ بِالعِلَلِ وَالأَسَانِيْدِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيِّ.

وَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: أَشْهَدُ أَنَّهُ لَيَس فِيْ الدُّنْيَا مِثْلَكَ[(٢)].

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَزَرَةٌ: مَا رَأَيْتُ خُرَاسَانِيًّا أَفْهَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ[(٣)].

وَقَالَ أَحَمْدُ بْنُ سَيَّارٍ فِيْ تَارِيْخِ مَرْو: وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيُّ طَلَبَ العِلْمَ وَجَالَسَ النَّاسَ وَرَحَلَ فِيْ الحَدِيْثِ، وَمَهَرَ فِيه وَأَبْصَرَ، وَكَانَ حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ حَسَنَ الْحُفَّظِ، وَكَانَ يَتَفَقَّهُ[(٤)].

وَقَالَ أَبُوْ أَحْمَدَ بْنُ عَدِيٍّ: كَانَ يَحْيَىٰ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ إِذَا ذَكَرَ

---

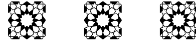
(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/١٠٥)، وطبقات علماء الحديث لابن قدامة (٢/٢٤٥).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/١٠٣)، والمعلم بشيوخ البخاري ومسلم (١/١٦).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/٦٨).

(٤) تاريخ بغداد (٢/٣٢٢)، وتهذيب الكمال (٢٤/٤٣٨).

البُخَارِيَّ، قَالَ: ذَاكَ الْكَبْشُ النَّطَّاحُ(١).



مقارنة بين
البخاري، وبين أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهما

قَالَ أَبُوْ عَمْرٍو الخَفَّافُ: حَدَّثَنَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ العَالِمُ الَّذِيْ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ.

قَالَ: وَهُوَ أَعلمُ بِالحَدِيْثِ مِنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَغَيْرِهِمَا بِعِشْرِيْنَ دَرَجَةً، وَمَنْ قَال فِيْهِ شَيْئًا فَعَلَيْهِ مِنِّي أَلْفُ لَعْنَةٍ(٢).

وَقَالَ أَيْضًا: لَوْ دَخَلَ مِنْ هَذَا البَابِ وَأَنَا أُحَدِّثُ لَمُلِئْتُ مِنْهُ رُعْبًا(٣).

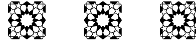
وَقَالَ سَلِيمُ بْنُ مُجَاهِدٍ: مَا رَأَيْتُ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً أَحَدًا أَفْقَهَ وَلَا أَوْرَعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ.

وَقَالَ مُوسىٰ بْنُ هَارُوْنَ الحَمَّالُ الحَافِظُ البَغْدَادِيُّ: عِنْدِيْ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الإِسْلَامِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يُصِيبُوا آخَرَ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ لَمَا قَدَرُوْا عَلَيْهِ(٤).

---

(١) من روىٰ عنهم البخاري في الصحيح لابن عدي (٥٤/١)، و: التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح للباجي (٣٠٨/١).
(٢) طبقات الشافعية للسبكي (٢٢١/٢)، وتهذيب التهذيب (٥٤/٩).
(٣) تاريخ بغداد (٢٧/٢)، وتاريخ دمشق (٧٨/٥٢).
(٤) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة (٣٢/١)، وتهذيب الكمال (٤٥٧/٢٤).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ: سَمِعْتُ العُلَمَاءَ بِمِصْرَ يَقُوْلُوْنَ: مَا فِي الدُّنْيا مِثْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ فِيْ المَعْرِفَةِ وَالصَّلَاحِ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَأَنَا أَقُوْلُ قَوْلَهُمْ[1].

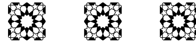


حاجة الناس إلى كُتبه، وانتفاعهم منها

قَالَ الْحافِظُ أَبُوْ العَبَّاسِ أَحمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيْدِ بْنِ عُقْدَةَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَتَبَ ثَلَاثِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ لَمَا اسْتَغْنَىٰ عَنْ تَارِيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ[2].

وَقَالَ الحَاكِمُ أَبُوْ أَحْمَدَ فِيْ الكُنَىٰ: كَانَ أَحَدَ الأَئِمَّةِ فِيْ مَعْرِفَةِ الحَدِيثِ وَجَمْعِهِ[3].

وَلَوْ قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أَرَ تَصْنِيْفَ أَحَدٍ يُشْبِهُ تَصْنِيفَهُ فِيْ الحُسْنِ وَالْمُبَالَغَةِ لَفَعَلْتُ.



---

(١) تاريخ دمشق (٥٢/٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/١٠٥).

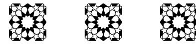
(٢) تاريخ دمشق (٥٢/٧٥)، وتاريخ بغداد (٢/٨).

(٣) تاريخ دمشق (٥٢/٥٤)، وطبقات الشافعية الكبرىٰ (٢/٢٢٠).

وقفة تأمل وإجلال

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «وَلَوْ فَتَحْتُ بَابَ ثَنَاءِ الأئمة عَلَيْهِ مِمَّنْ تَأَخَّرَ عَنْ عَصْرِهِ لَفَنِيَ القِرْطَاسُ وَنَفِدَتِ الأَنْفَاسُ؛ فَذَاكَ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ.

وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ كَلَامَ ابْنِ عُقْدَةَ وَأَبِي أَحْمَدَ عُنْوَانًا لِذَلِكَ، وَبَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ثَنَاءِ كِبَارِ مَشَايِخِهِ عَلَيْهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حِكَايَةِ مَنْ تَأَخَّرَ؛ لِأَنَّ أُوْلَئِكَ إِنَّمَا أَثْنَوْا بِمَا شَاهَدُوْا، وَوَصَفُوْا مَا عَلِمُوْا، بِخِلَافِ مَنْ بَعْدَهُمْ، فَإِنَّ ثَنَاءَهُمْ وَوَصْفَهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى الاعْتِمَادِ عَلَى مَا نُقِلَ إِلَيْهِمْ، وَبَيْنَ المَقَامَيْنِ فَرْقٌ ظَاهِرٌ، وَلَيْسَ العَيَانُ كَالخَبَرِ».



ذِكْرُ جُمَلٍ مِنَ الأَخْبَارِ الشَّاهِدَةِ لِسَعَةِ حِفْظِهِ وَسيلان ذِهْنِهِ، وَاطِّلاعِهِ عَلَى العِلَلِ

قال أَبو أَحْمَدَ بْنِ عَدِيٍّ الحَافِظُ: سَمِعْتُ عِدَّةً مِنْ مَشَايِخ بَغْداد يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيَّ قَدِمَ بَغْدَادَ فَسَمِعَ بِهِ أَصْحَابُ الحَدِيْثِ فَاجْتَمَعُوا وَأَرَادُوْا امْتَحَانَ حِفْظِهِ؛ فَعَمَدُوْا إِلَى مائَةِ حَدِيْثٍ فَقَلَبُوْا مُتُونَهَا وَأَسَانِيْدَهَا، وَجَعَلُوا مَتْنَ هَذَا الإِسْنَادِ لِإِسْنَادٍ آخَرَ، وَإِسْنَادَ هَذَا المَتْنِ لِمَتْنٍ آخَرَ، وَدَفَعُوهَا إِلَى عَشَرَةِ أَنْفُسٍ لِكُلِّ رَجُلٍ عَشْرَةُ أَحَادِيْث، وَأَمَرُوْهُمْ إِذَا حَضَرُوْا المَجْلِسَ أَنْ يُلقُوْا ذَلِكَ عَلَى الْبُخَارِيِّ، وَأَخَذُوْا عَلَيْهِ المَوْعِدَ

لِلْمَجْلِسِ؛ فَحَضَرُوْا وَحَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الغُرَبَاءِ مِنْ أَهَلِ خُرَاسَانَ وَغَيْرِهِمْ، وَمِنَ الْبَغْدَادِيِّيْنِ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ بِأَهْلِهِ؛ انْتُدَبَ رَجُلٌ مِنْ الْعَشَرَةِ فَسَأَلَهُ عَنْ حَديثٍ مِنْ تِلْكَ الأَحَادِيْثِ؛ فَقَال الْبُخَارِيُّ: «لَا أَعْرِفُهُ». فَمَا زَالَ يُلْقِيْ عَلَيْهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّىٰ فَرَغَ، والْبُخَارِيُّ يَقُولُ: «لَا أَعرِفُهُ». وَكَانَ العُلَمَاءُ مِمَّنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ يَلْتَفِتُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، وَيَقُوْلُوْنَ: فَهِمَ الرَّجُلُ. وَمَنْ كَانَ لَمْ يَدْرِ الْقِصَّةَ؛ يَقْضِيْ عَلَىٰ البُخَارِيِّ بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيْرِ وَقِلَّةِ الحِفْظِ.

ثُمَّ انْتُدِبَ رَجُلٌ مِنَ العَشْرَةِ أَيْضًا، فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيْثٍ مِنْ تِلْكَ الأَحَادِيْثِ الْمَقْلُوبَةِ فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ آخَرَ فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُلْقِيْ عَلَيْهِ وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّىٰ فَرَغَ مِنْ عَشَرَتِهِ، وَالْبُخَارِيُّ يَقُولُ: لَا أَعْرِفُهُ.

ثَمَّ انْتُدِبَ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ إِلَىٰ تَمَامِ الْعَشْرَةِ حَتَّىٰ فَرَغُوْا كُلُّهُمْ مِنْ إِلْقَاءِ تِلْكَ الأَحَادِيْثِ المَقْلُوبَةِ، وَالبُخَارِيُّ لَا يَزِيدُهُمْ عَلَىٰ: «لَا أَعْرِفُهُ».

فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ قَدْ فَرَغُوْا؛ الْتَفَتَ إِلَىٰ الأَوَّلِ، فَقَالَ: أَمَّا حَدِيْثُكَ الأَوَّلُ: فَقُلْتَ كَذَا، وَصَوَابُهُ كَذَا. وَحَدِيْثُكَ الثَّانِيْ كَذَا، وَصَوَابُهُ كَذَا. وَالثَّالِثُ وَالرَّابِعُ عَلَىٰ الوَلَاءِ حَتَّىٰ أَتَىٰ عَلَىٰ تَمَامِ الْعَشَرَةِ، فَرَدَّ كُلَّ مَتْنٍ إِلَىٰ إِسْنَادِهِ، وَكُلَّ إِسْنَادٍ إِلَىٰ مَتْنِهِ. وَفَعَلَ بِالآخَرِيْنَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ فَأَقَرَّ النَّاسُ لَهُ بِالْحِفْظِ وَأَذْعَنُوْا لَهُ بِالْفَضْلِ(١).

---

(١) تاريخ بغداد (٢/٢١)، والتعديل والتجريح للباجي (١/٣٠٨)، والمعلم بشيوخ البخاري ومسلم لابن خلفون (١/١٧).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: هُنَا يُخْضَعُ لِلْبُخَارِيِّ، فَمَا الْعَجَبُ مِنْ رَدِّهِ الخَطَأَ إِلَىٰ الصَّوَابِ فَإِنَّه كَانَ حَافِظًا، بَلِ الْعَجَبُ مِنْ حِفْظِهِ لِلْخَطَأِ عَلَىٰ تَرْتِيْبِ مَا أَلْقَوْهُ عَلَيْهِ مِنْ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ.



الحافظة العجيبة عند البخاري

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الكَلوَذَانِيِّ(١)قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ كَانَ يَأْخُذُ الْكِتابَ مِنْ العَلْمِ فَيَطَّلِعَ عَلَيْهِ اطِّلَاعَةً فَيَحْفَظُ عَامَّةَ أَطْرَافِ الأَحَادِيْث مِنْ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ(٢).

وَقَدْ سَبَقَ مَا حَكَاهُ حَاشِدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ فِيْ أَيَّامِ طَلَبِهِمْ بالبَصْرَةِ مَعَهُ، وَكَوْنُهُ كَانَ يَحْفَظُ مَا يَسْمَعُ وَلَا يَكْتُبُ.

وَقَالَ أَبُوْ الأَزْهَرِ: كَانَ بِسَمَرْقَنْدَ أَرْبَعُمِائَةِ مُحْدِّثٍ، فَتَجَمَّعُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُغَالِطُوا مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ فَأَدْخَلُوا إِسْنَادَ الشَّامِ فِيْ إِسْنَادِ العِرَاقِ، وَإِسْنَادَ

---

(١) في تغليق التعليق – الكوذاني - (٥/٤١٥)، وفي السير للذهبي (١٢/٤١٦) – الكلواذاني-. وفي بعض كتب المعاصرين – الكلذواني! - قال شيخنا المحدث أحمد العنقري :هي في الأصل نسبة إلىٰ كلواذىٰ قرية من قرىٰ بغداد ويصح أن يقال كلوذاني و كلواذاني وكلواذي، ولكن من اشتهر بأحدها فالأولىٰ تقديمها ويُنبه علىٰ الأخرىٰ، مثل: أبوبكر الكلوذاني هكذا اشتهر وسُطّر ويصح أن يقال أبو بكر الكلواذاني.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٩١).

العِرَاقِ فِيْ إِسْنَادِ الشَّامِ، وَإِسْنَادَ الْحَرَمِ فِيْ إِسْنَادِ اليَمَنِ، فَمَا اسْتَطَاعُوْا مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَتَعَلَّقُوْا عَلَيْهِ بِسَقْطَةٍ(١).



براعة البخاري رحمه الله في شد انتباه تلامذته

قال يوْسُفُ بْنُ مُوْسَىٰ المَرْوَزِيُّ: كُنْتُ بِالبَصْرَةِ فِيْ جَامِعِهَا إِذْ سَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِيْ: يَا أَهْلَ العِلْمِ، لَقَدْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسماعِيْلَ الْبُخَارِيُّ، فَقَامُوْا إِلَيْهِ وَكُنْتُ مَعَهُمْ، فَرَأَيْنَا رَجُلًا شَابًّا لَيْسَ فِي لِحْيَتِهِ بَيَاضٌ، فَصَلَّىٰ خَلْفَ الأُسْطُوَانَةِ. فَلَمَّا فَرَغَ أَحْدَقُوْا بِهِ، وَسَأَلُوْهُ أَنْ يَعْقِدَ لَهُمْ مَجْلِسًا لِلْإِمْلَاءِ؛ فَأَجَابَهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ، فَقَامَ المُنَادِيْ ثَانِيًا فِي جَامِعِ البَصْرَةِ فَقَالَ: يا أَهْلَ العِلْمِ، لَقَدْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ الْبُخَارِيُ فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَعْقِدَ مَجْلِسَ الإِمْلَاءِ فَأَجَابَ بِأَنْ يَجْلِسَ غَدًا فِيْ مَوْضِعِ كَذَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ حَضَرَ الْمُحَدِّثُوْنَ وَالْحُفَّاظُ وَالْفُقَهَاءُ وَالنُّظَّارَةُ، حَتَّىٰ اجْتَمَعَ قَرِيبٌ مِنْ كَذَا أَلْفِ نَفْسٍ، فَجَلَسَ أَبُوْ عَبْدِ اللهِ لِلْإِمْلَاءِ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ فِيْ الإِمْلَاءِ: «يَا أَهْلَ البَصْرَةِ، أَنَا شَابٌّ، وَقَدْ سَأَلْتُمُوْنِيْ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ وَسَأُحَدِّثُكُمْ بِأَحَادِيْثَ عَنْ أَهْلِ بَلَدِكُمْ تَسْتَفِيْدُوْنَهَا؛ يَعْنِي: لَيْسَتْ عِنْدَكُمْ. قَالَ: فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ.

فَأَخَذَ فِيْ الإِمْلَاءِ فَقَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِيْ روَّادٍ العَتَكِيُّ بِبَلَدِكُمْ، قَالَ: حَدَّثَنِيْ أَبِي، عَنْ شُعبَةَ، عَنْ مَنْصُوْرٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٨٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/٣١).

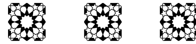
سَالِمِ بْنِ أَبِيْ الجَعْدِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا رَسُوْلَ اللهِ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ..**»(١). الْحَدِيثَ.

ثَمَّ قَالَ: «هَذَا لَيْسَ عِنْدَكُمْ عَنْ مَنْصُورٍ، إِنَّمَا هُوَ عِنْدَكُمْ عَنْ غَيْرِ مَنْصُورٍ».

قَالَ يُوْسُفُ بْنُ مُوْسَىٰ: فَأَمْلَىٰ عَلَيْهِمْ مَجْلِسًا مِنْ هَذَا النَّسَقِ يَقُولُ فِي كُلِّ حَدِيْثٍ: رَوَىٰ فُلَانٌ هَذَا الحَدِيْثَ عِنْدَكُمْ كَذَا، فَأَمَّا مِنْ رِوَايَةِ فُلَانٍ؛ يَعْنِي: الَّتِي يَسُوْقُهَا. فَلَيْسَتْ عِنْدَكُمْ(٢).

وَقَالَ حَمْدُويَه بْنُ الخَطَّابِ: لَمَّا قَدِمَ الْبُخَارِيُّ قَدْمَتَهُ الأَخِيْرَةَ مِنْ الْعِرَاقِ، وَتَلَقَّاهُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ النَّاسِ، وَازْدَحَمُوْا عَلَيهِ وَبَالَغُوْا فِيْ بِرِّهِ. قِيْلَ لَهُ فِيْ ذَلِكَ؛ فَقَال: «كَيْفَ لَوْ رَأَيْتُم يَوْمَ دُخُوْلِنَا الْبَصرَةَ؟».

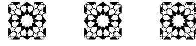
كَأَنَّهُ يُشِيْرُ إِلَىٰ قِصَّةِ دُخُولِهِ الَّتِي ذَكَرَهَا يُوْسُفُ بْنُ مُوْسَىٰ(٣).



(١) أخرجه البخاري (٦١٧٠).
(٢) تاريخ بغداد (١٦/٢)، وتاريخ دمشق (٦٧/٥٢).
(٣) تاريخ بغداد (١٩/٢)، وتاريخ دمشق (٩٠/٥٢)، وتهذيب الكمال (٤٥٥/٢٤)، وتغليق التعليق (٤١٦/٥).

فقه البخاري ﵀، ومحبته للإغراب

قال أَبُوْ حَسَّانٍ مَهِيْبُ بْنُ سَلِيْمٍ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ الْبُخَارِيَّ يَقُوْلُ: «اعْتَلَلْتُ بِنَيْسَابُوْرَ عِلَّةً خَفِيْفَةً، وَذَلِكَ فِيْ شَهْرِ رَمَضَان؛ فَعَادَنِيْ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُويَه فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لِيْ: أَفْطَرتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ فَقُلْتُ: «نَعَمْ». فَقَالَ: يَعْنِي: تَعَجَّلْتَ فِيْ قَبُوْلِ الرُّخَصَةِ. فَقُلْتُ: أَخبَرَنَا عَبْدَانُ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَال: قُلْتُ لِعَطَاءٍ: مِنْ أَيِّ الْمَرَضِ أُفْطِرُ؟ قَالَ: مِنْ أَيِّ مَرَض كَانَ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾[البقرة: ١٨٤]. قَالَ البُخَارِيُّ: لَمْ يَكُنْ هَذَا عِنْدَ إِسْحَاق[١].



براعة الإمام البخاري ﵀ في تصانيفه

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِيْ حَاتِمٍ الوَرَّاقُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْل يَقُولُ: «لَوْ نُشِرَ بَعْضُ أُسْتَاذِيّ[٢] هَؤُلَاءِ لَمْ يَفْهَمُوْا كَيْفَ صَنَّفْتُ كِتَابِيْ[٣] وَلَا عَرَفُوهُ». ثَمَّ قَالَ: «صَنَّفْتُهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ»[٤].

وَقَالَ أُحَيْدُ بْنُ أَبِيْ جَعْفَرٍ وَالِيْ بُخَارَىٰ: قَالَ لِيْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ

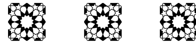
(١) تاريخ دمشق (٥٢/٨٦)، وتغليق التعليق (٥/٤١٧).
(٢) تصحفت في كثير من المصادر إلىٰ (إسنادي) و (أستاري)
(٣) تصحفت في دار السلام ودار طيبة بدل كتابي إلىٰ (البخاري).
(٤) تغليق التعليق (٥/٤١٧)، وتاريخ بغداد (٢/٧)، وتاريخ دمشق (٥٢/٧٥).

يَوْمًا: «رُبَّ حَدِيْثٍ سَمِعْتُهُ بِالبَصْرَةِ كَتَبْتُهُ بِالشَّامِ، وَرُبَّ حَدِيْثٍ سَمِعْتُهُ بِالشَّامِ كَتَبْتُهُ بِمِصْرَ». فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ بِتَمَامِهِ؟. فَسَكَتَ[(١)].



البخاري خزانة تأريخية وفقهية

قَالَ سَلِيْمُ بْنُ مُجَاهِدٍ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ: «لَا أَجِيءُ بِحَدِيْثٍ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ إِلَّا عَرَفْتُ مَوْلِدَ أَكْثَرِهِمْ وَوَفَاتَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ، وَلَسْتُ أَرْوِيْ حَدِيْثًا مِنْ حَدِيْثِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، -يَعْنِي مِنْ الْمَوْقُوْفَاتِ- إِلَّا وَلَهُ أَصْلٌ، أَحْفَظُ ذَلِكَ عَنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِه ﷺ»[(٢)].



كم كان يحفظ من الحديث
وكم أودع منها في كتبه؟

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ عَاصِمٍ البِيْكَنْدِيُّ: قَدِمَ عَلَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصحَابِنَا: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ راهُويَه يَقُوْلُ:

(١) تغليق التعليق (٥/٤١٧)، وسير أعلام النبلاء (١٠/٨٩). يرى البخاري ﷺ جواز الرواية بالمعنى وجواز تقطيع الحديث كما صنع في صحيحه وبقية كتبه وهو مذهب جماعة من أهل العلم بالحديث.

(٢) تغليق التعليق (٥/٤١٧)، وتاريخ دمشق (٥٢/٦٣)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/٢١٨).

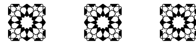
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ سَبْعِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ مِنْ كِتَابِي؛ فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: «أَوَ تَعَجَبُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ!، لَعَلَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ مَائَتَيْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنْ كِتَابِهِ». وَإِنَّمَا عَنَىٰ نَفْسَهُ(١).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدُويَه: سَمِعْتُ الْبُخَارِيَّ يَقُوْلُ: أَحْفَظُ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيْثٍ صَحِيْحٍ، وَأَحْفَظُ مِائَتَيْ أَلْفِ حَدِيْثٍ غَيْرِ صَحِيْحٍ(٢).

قَالَ وَرَّاقُهُ: سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: «مَا نِمْتُ البَارِحَةَ حَتَّىٰ عَدَدْتُ كَمْ أَدْخَلْتُ فِيْ تَصَانِيْفِيْ مِنَ الْحَدِيْثِ، فَإِذَا نَحْوُ مِائَتَيْ أَلْفِ حَدِيْثٍ»(٣).

وَقَال أَيْضًا: «لَوْ قِيلَ لِيْ تَمَنَّ لَمَا قُمْتُ حَتَّىٰ أَرْوِيَ عَشْرَةَ آلَافِ حَدِيْثٍ فِيْ الصَّلَاةِ خَاصَّةً»(٤).

وَقَالَ أَيْضًا وَرَّاقُهُ: قُلْتُ لَهُ: تَحْفَظُ جَمِيْعَ مَا أَدْخَلْتَ فِيْ مُصَنَّفَاتِكَ؟ فَقَالَ: «لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ جَمِيْعُ مَا فِيْهَا، وَصَنَّفْتُ جَمِيْعَ كُتُبِيْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»(٥).



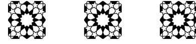
(١) تاريخ بغداد (٢/٢٥)، وتاريخ دمشق (٥٢/٦٤)، وتغليق التعليق (٥/٤١٧).
(٢) البدر المنير لابن الملقن (١/٢٦١)، وتاريخ بغداد (٢/٢٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/٨٩)، وتغليق التعليق (٥/٤١٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/٨٩)، وتغليق التعليق (٥/٤١٨).
(٥) تاريخ بغداد (٢/١٠)، وتاريخ دمشق (٥٢/٧٣)، وتهذيب الكمال (٢٤/٤٤٣)، وتغليق التعليق (٥/٤١٨).

استعمال الأمور المعينة على الحفظ

قَالَ وَرَّاقُهُ: وَبَلَغَنِيْ أَنَّهُ شَرِبُ البَلَاذُرَ[(١)].

فَقُلْتُ لَهُ مَرَّةً فِيْ خَلْوَةٍ: هَلْ مِنْ دَوَاءٍ لِلْحِفْظِ؟.

فَقَالَ: «لَا أَعْلَمُ». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: «لَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَنْفَعَ لِلْحِفْظِ مِنْ نُهْمَةِ الرَّجلِ وَمُدَاوَمَةِ النَّظَرِ»[(٢)].



تحمّله المشاق وعناء السفر لأجل التصنيف

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «أَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ حَجَجْتُ سَنَةً جرداء[(٣)] أَكْتُبُ الحَدِيْثَ»[(٤)].

---

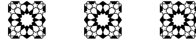
(١) نوع من الأشجار، ثمرُه شَبيه بنَوَىٰ التّمر، ولُبّه مثل لبّ الجوز، وقِشره متخَلخِل مثقَّب ،وفي تخلخُلِه عسلٌ لزِج ذو رائِحة، يُؤخذ ويُدق ويُعمل منه مشروب، يرون أنه يقوّي الحفظ.

(٢) تاريخ الإسلام (١٤٠/٦).

(٣) في بعض المصادر: حردا. وفي بعضها: جودًا.

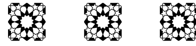
(٤) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (٤٤٩/٢)، وتغليق التعليق (٤١٨/٥).

قَالَ: «وَأَقَمْتُ بِالْبَصْرَةِ خَمْسَ سِنِيْنَ مَعِيْ كُتُبِيْ أُصَنِّفُ، وَأَحُجُّ وَأَرْجِعُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْبَصْرَةِ».



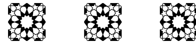
دعاء البخاري لكتبه بالبركة

قَالَ: «وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَارِكَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُسْلِمِيْنَ فِيْ هَذِهِ الْمُصَنَّفَاتِ»(١).



شدة استحضاره

قَالَ البُخَارِيُّ: «تَذَكَّرَتُ يَوْمًا أَصْحَابَ أَنَسٍ فَحَضَرَنِيْ فِيْ سَاعَةٍ ثَلَاثُمِائَةِ نَفْسٍ، وَمَا قَدِمْتُ عَلَىٰ شَيْخٍ إِلَّا كَانَ انْتِفَاعُهُ بِيْ أَكْثَرُ مِنَ انْتِفاعِي بِهِ»(٢).



استحضاره للأحاديث في الباب الواحد

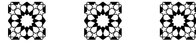
قَالَ وَرَّاقُهُ: عَمِلَ كِتَابًا فِيْ الْهِبَةِ فِيْهِ نَحْوُ خَمْسِمِائَةِ حَدِيْثٍ، وَقَالَ:

---

(١) تاريخ دمشق (٥٢/٧٢)، تهذيب الأسماء واللغات (١/٧٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٨٩)، وتغليق التعليق (٥/٤١٨).

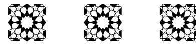
«لَيْسَ فِيْ كِتَابِ وَكِيْعٍ فِيْ الهِبَةِ إِلَّا حَدِيْثَانِ مُسْنَدَانِ أَوْ ثَلاثَةٌ، وَفِيْ كِتَابِ ابْنِ الْمُبَارَكِ خَمْسَةٌ أَوْ نَحْوَهَا»(١).



متى يجلس المحدث للتحديث

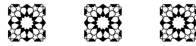
وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «مَا جَلَسْتُ لِلْتَّحْدِيثِ حَتَّى عَرَفْتُ الصَّحِيْحَ مِنَ السَّقِيْمِ، وَحَتَّى نَظَرْتُ فِيْ كُتُبِ أَهْلِ الرَّأْيِ، وَمَا تَرَكْتُ بِالْبَصَرَةِ حَدِيْثًا إِلَّا كَتَبْتُهُ».

قَالَ وَرَّاقُهُ: وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: «لَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَّا وَهُوَ فِيْ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ». قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يُمْكِن مَعْرِفَة ذَلِكَ؟. قالَ: «نَعَمْ»(٢).



سيلان الذهن وطلاقة اللسان

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُوْنَ الحَافِظُ: رَأَيْتُ الْبُخَارِيَّ فِيْ جِنَازَةٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ يَسْأَلُهُ عَنِ الأَسْمَاءِ وَالْعِلَلِ، وَالْبُخَارِيُّ يَمُرُّ فِيْهِ مِثْلَ السَّهْمِ، كَأَنَّهُ يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١](٣).



(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٨٩)، وتاريخ الإسلام (٦/١٤٠)، وتغليق التعليق (٥/٤١٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٨٩)، وتغليق التعليق (٥/٤١٩).

(٣) تاريخ بغداد (٢/٣٠)، وتاريخ دمشق (٥٢/٩٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/١٠٠).

مدارسة بين الإمامين البخاري ومسلم

قال أَبُوْ حَامِدٍ الأَعْمَشُ الحافِظُ: كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ الْبُخَارِيِّ بِنَيْسَابُوْرَ(١)، فَجَاءَ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِيْ سَرِيَّةٍ، وَمَعَنَا أَبُوْ عُبَيْدَةَ..»(٢). الْحَدِيْثَ بِطُوْلِهِ.

فَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، حَدَّثَنِيْ أَخِيْ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ..». فَذَكَرَ الحَدِيْثَ بِتَمَامِهِ(٣).

قَالَ: فَقَرَأَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ حَدِيْثَ حَجَّاجِ بْنِ محمدٍ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ مُوْسَىٰ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**كَفَّارَةُ المَجْلِسِ إِذَا قَامَ العَبْدُ أَنْ يَقُوْلَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ**»(٤).

فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: فِيْ الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْ هَذَا الحَدِيْثِ! ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُوْسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِيْ صَالِحٍ، تَعْرِفُ بِهَذَا الإِسْنَادِ فِيْ الدُّنْيَا حَدِيْثًا؟

---

(١) بفتح أوله، والعامة يسمونه نشاوور: وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء. معجم البلدان (٥/٣٣١).

(٢) مستخرج أبي عوانة (٥/٢٤ رقم ٧٦٢٨)، والعظمة لأبي الشيخ (٤/ ١٣٩٦).

(٣) الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٣/٩٥٩)، وتغليق التعليق (٥/٤٢٨).

(٤) موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان للهيثمي (٣٩٥/٧ رقم ٢٣٦٦).

فَقَالَ محمدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ: «إِلَّا أَنَّهُ مَعْلُوْلٌ». فَقَالَ مُسْلِمٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ -وَارْتَعَدَ- أَخْبِرْنِيْ بِهِ؟! فَقَالَ: «أَسْتُرُ مَا سَتَرَ اللهُ، هَذَا حَدِيْثٌ جَلِيْلٌ، رَوَاهُ النَّاسُ عَنْ حَجَّاجِ بْنِ محمدٍ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ». فَأَلَحَّ عَلَيْهِ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ، وَكَادَ أَنْ يَبْكِيَ فَقَالَ: اكْتُبْ إِنْ كَانَ وَلَابُدّ:

حَدَّثَنَا مُوْسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ، حَدّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوْسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «**كَفَّارَةُ المَجْلِسِ**..». فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: لَا يَبْغَضُكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ لَيْسَ فِيْ الدُّنْيَا مِثْلُكَ[(١)].

وَهَكَذَا رَوَىٰ الحَاكِمُ هَذِهِ القِصَّةَ فِيْ تَارِيْخِ نَيْسَابُوْرَ عَنْ أَبِيْ مُحَمَّدٍ المخْلَدِيّ.

وَرَوَاهَا البَيْهَقِيُّ فِيْ المَدْخَلِ[(٢)] عَنِ الحَاكِمِ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ عَلَىٰ سِيَاقٍ آخَرَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الوَرَّاقَ يَقُوْلُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَمْدُوْنَ القَصَّارَ، وَهُوَ أَبُوْ حَامِدٍ الأَعْمَشُ، يَقُوْلُ: سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ الحَجَّاجِ وَجَاءَ إِلَىٰ مُحَمّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: دَعْنِيْ حَتَّىٰ أُقَبِّلَ رِجْلَيْكَ يَا أُسْتَاذَ الأُسْتَاذِيْنَ، وَسَيِّدَ المُحَدِّثِيْنَ، وَطَبِيْبَ الحَدِيْثِ فِيْ عِلَلِهِ، حَدَّثَكَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ، حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ يَزِيْدَ، أَخْبَرَنَا بْنُ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِيْ مُوْسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِيْ صَالِحٍ عَنْ أَبِيْهِ، عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**كَفَّارَةُ المَجْلِسِ أَنْ يَقُوْلَ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ**».

---

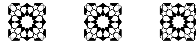
(١) تاريخ بغداد (٢/٢٨)، والمعلم بشيوخ البخاري ومسلم (١/١٦).
(٢) المدخل إلى علم السنن للبيهقي (١/٢٦٨).

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ: وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَىٰ بْنُ مَعِيْنٍ قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوْسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**كَفَّارَةُ المَجْلِسِ أَنْ يَقُوْلَ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ**». فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ: هَذَا حَدِيْثٌ مَلِيْحٌ وَلَا أَعْلَمُ بِهَذَا الإِسْنَادِ فِيْ الدُّنْيَا حَدِيْثًا غَيْرَ هَذَا؛ إِلَّا أَنَّهُ مَعْلُوْلٌ.

حَدَّثَنَا مُوْسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ، حَدّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَوْلُهُ!

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ: «هَذَا أَوْلَىٰ، وَلَا يُذْكَرُ لِمُوْسَىٰ بْنِ عُقْبَةَ مُسْنَدًا عَنْ سُهَيْلٍ».

وَرَوَاهَا الحَاكِمُ فِيْ عُلُوْمِ الحَدِيْثِ(١) لَهُ بِهَذَا الإِسْنَادِ أَخْصَرَ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ، وَقَالَ فِيْ آخِرِهَا كَلَامًا مَوْهُوْمًا؛ فَإِنَّهُ قَالَ فِيهِ: إِنَّ البُخَارِيَّ قَالَ: «لَا أَعْلَمُ فِيْ البَابِ غَيْرَ هَذَا الحَدِيْثِ الوَاحِدِ». وَلَمْ يَقُلِ البُخَارِيُّ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا قَالَ مَا تَقَدَّمَ، وَلَا يُتَصَوَّرُ وُقُوْعُ هَذَا مِنَ البُخَارِيِّ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِمَا فِيْ البَابِ مِنَ الأَحَادِيْثِ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.



(١) معرفة علوم الحديث للحاكم (١/١١٤).

ذِكْرُ فَضَائِلِ الجَامِعِ الصَّحِيْحِ

قَالَ أَبُوْ الْهَيْثَمِ الكُشْمِيْهَنِيُّ: سَمِعْتُ الفِرَبْرِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيَّ يَقُوْلُ: «مَا وَضَعْتُ فِيْ كِتَابِ الصَّحِيْحِ حَدِيْثًا إِلَّا اغْتَسَلْتُ قَبْلَ ذَلِكَ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ»[(١)].

وَعَنِ البُخَارِيِّ قَالَ: «صَنَّفْتُ الجَامِعَ مِنْ سِتِّمِائَةِ أَلْفِ حَدِيْثٍ فِيْ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَجَعَلْتُهُ حُجَّةً فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ»[(٢)].

و قَالَ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَجِيرٍ البَجِيْرِيُّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ يَقُولُ: «صَنَّفْتُ كِتَابِيَ الجَامِعَ فِيْ المَسْجِدِ الحَرامِ، وَمَا أَدْخَلْتُ فِيْهِ حَدِيْثًا حَتَّى اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَىٰ، وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَتَيَقَّنْتُ صِحَّتَهُ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: الجَمْعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا تَقَدَّمَ؛ أَنَّهُ كَانَ يُصَنِّفُهُ فِيْ البِلَادِ؛ أَنَّهُ ابْتَدَأَ تَصْنِيفَهُ وَتَرْتِيْبَهُ وَأَبْوَابَهُ فِيْ المَسْجِدِ الحَرَامِ، ثُمَّ كَانَ يُخْرِجُ الأَحَادِيْثَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي بَلَدِهُ وَغَيْرِهَا.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: إِنَّهُ أَقَامَ فِيْهِ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً، فَإِنَّهُ لَمْ يُجَاوِرْ بِمَكَّةَ هَذِهِ المُدَّةَ كُلَّهَا.

وَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ عَدِيٍّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ المَشَايِخِ أَنَّ البُخَارِيَّ حَوَّلَ تَرَاجِمَ

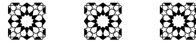
---

(١) تاريخ بغداد (٢/٩)، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلىٰ (١/٢٧٤).

(٢) تاريخ بغداد (٢/١٤)، وطبقات الحنابلة (١/٢٧٦).

جَامِعِهِ بَيْنَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْبَرِهِ، وَكَانَ يَصَلِّي لِكُلِّ تَرْجَمَةٍ رَكْعَتَيْنِ(١).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَلَا يُنَافِي هَذَا أَيْضًا مَا تَقَدَّمَ؛ لِأَنَّهُ يُحمَلُ عَلَىٰ أَنَّهُ فِي الأَوَّلِ كَتَبَهُ فِي المُسَوَّدَةِ، وَهُنَا حَوَّلَهُ مِنَ الْمُسَوَّدَةِ إِلَىٰ الْمُبَيَّضَةِ.



منامات في البخاري

وَقَال الفِرَبْرِيُّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَاتِمٍ وَرَّاقِ البُخَارِيِّ يَقُولُ: رَأَيْتُ البُخَارِيَّ فِيْ المَنَامِ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَمْشِيْ، فَكُلَّمَا رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَدَمَهُ وَضَعَ أَبُوْ عَبْدِ اللهِ قَدَمَهُ فِيْ ذَلِكَ المَوْضِعِ(٢).

وَقَال الفِرَبْرِيُّ: سَمِعْتُ نَجْمَ بْنَ فُضَيْلٍ، وَكَانَ مِنْ أَهَلِ الفَهْمِ يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِيْ الْمَنَامِ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ وَالْبُخَارِيُّ يَمْشِيْ خَلْفَهُ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا خَطَا خُطْوَةً؛ يَخْطُوْ مُحَمَّدٌ، وَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَىٰ خُطْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ(٣).

وَقَال الفِرَبْرِيُّ أَيْضًا: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِيْ النَّوْمِ، فَقَالَ لِيْ: أَيْنَ تُرِيْدُ؟ فَقُلْتُ: أُرِيْدُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ. فَقَالَ: أَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ(٤).

---

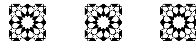
(١) من روىٰ عنهم البخاري في الصحيح لابن عدي (٥٢/١).
(٢) تاريخ بغداد (١٠/٢)، وتاريخ دمشق (٧٧/٥٢).
(٣) تاريخ بغداد (١٠/٢).
(٤) تاريخ بغداد (١٠/٢).

وقال أَبَو زَيْدٍ المَرْوَزِيَّ: كَنْتُ نَائِمًا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ؛ فَرَأَّيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِيْ المَنَامِ، فَقَالَ لِيْ: «يَا أَبَا زَيْدٍ إِلَىٰ مَتَى تَدرُسُ كِتَابَ الشَّافِعِي وَلَا تَدرُسُ كِتَابِيْ». فَقُلْتُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، وَمَا كِتَابُكَ؟. قَالَ: «جَامِعُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ»[1].



ثناء الإمام النسائي على صحيح البخاري

وسُئِلَ أَبُوْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ، عَنِ العَلَاءِ وَسُهَيْلٍ، فَقَالَ: هُمَا خَيْرٌ مِنْ فُلَيْحٍ. وَمَعَ هَذَا فَمَا فِيْ هَذِهِ الكُتُبِ كُلِّهَا أَجْوَدَ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ[2].



البخاري يعرض كتابه (الجامع الصحيح) على شيوخه

قَالَ أَبُوْ جَعْفَرٍ العُقِيْلِيُّ: لَمَّا صَنَّفَ البُخَارِيُّ كِتَابَ الصَّحِيْح عَرَضَهُ عَلَىٰ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِيْنِيِّ وَأَحمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَيَحَيَىٰ بْنِ مَعِيْنٍ وَغَيْرِهِمْ؛ فَاسْتَحْسَنُوهُ وَشَهِدُوْا لَهُ بِالصِّحَّةِ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَحَادِيْثٍ.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٣٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/١٠٣).

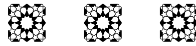
(٢) تاريخ بغداد (٢/٩)، وتاريخ دمشق (٥٢/٧٤)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٣/٢٥٤).

قَالَ العُقِيلِي: وَالْقَوْلُ فِيْهَا قَوْلُ البُخَارِيِّ، وَهِي صَحِيحَةٌ(١).

وَقَالَ الحَاكِمُ أَبُوْ أَحْمَدَ: رَحِمَ اللهُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ الإِمَامَ؛ فَإِنَّهُ الَّذِيْ أَلَّفَ الأُصُوْلَ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ، وَكُلُّ مَنْ عَمِلَ بَعْدَهُ؛ فَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ كِتَابِهِ، كَمُسْلِمٍ؛ فَرَّقَ أَكْثَرَ كِتَابِهِ فِي كِتَابِهِ وَتَجَلَّدَ فِيْهِ حَقَّ الجَلاَدَةِ؛ حَيْثُ لَمْ يَنْسِبْهُ إِلَيْهِ(٢).

وَقَالَ أَبُوْ الحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ الحَافِظُ: لَوْلَا البُخَارِيُّ لَمَا رَاحَ مُسلِمٌ وَلَا جَاءَ(٣).

وَقَالَ أَيْضًا: إِنَّمَا أَخَذَ مُسْلِمٌ كِتَابَ البُخَارِيِّ؛ فَعَمِلَ فِيْهِ مُسْتَخْرَجًا، وَزَادَ فِيْهِ أَحَادِيْثَ(٤).



---

(١) تاريخ بغداد (٢/٩)، وتاريخ دمشق (٥٢/٧٤)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٣/٢٥٤).

(٢) الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٣/٩٦٢).

(٣) تاريخ الإسلام (٦/٤٣٠).

(٤) تاريخ بغداد (١٣/١٠٣).

ذُكْرُ مَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذُّهْلِيِّ فِيْ مَسْأَلَةِ اللَّفْظِ، وَمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ المِحْنَةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَبَرَاءَتُهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ

قَالَ الحَاكِمُ أَبُوْ عَبْدِ اللهِ فِيْ تَارِيْخِهِ: قَدِمَ البُخَارِيُّ نَيْسَابُوْرَ سَنَةَ خَمْسِيْنَ وَمِائَتَيْنِ، فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً يُحَدِّثُ عَلَى الدَّوَامِ(١).

قَالَ: فَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَامِدٍ البَزَّارَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنَ جَابِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يحيىٰ الذُّهْلِيَّ يَقُولُ: اذْهَبُوْا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ الْعَالِمِ؛ فَاسْمَعُوْا مِنْهُ. قَالُ: فَذَهَبَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَأَقْبَلُوْا عَلَىٰ السَّمَاعِ مِنْهُ حَتَّىٰ ظَهَرَ الخَلَلُ فِيْ مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ فِيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَقَالَ حَاتِمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمُودٍ، سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ الحَجَّاجِ يَقُولُ: لَمَّا قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ نَيْسَابُوْرَ مَا رَأَيْتُ وَالِيًا، وَلَا عَالِمًا فَعَلَ بِهِ أَهْلُ نَيْسَابُوْرَ مَا فَعَلُوْا بِهِ؛ اسْتَقْبَلُوْهُ مِنْ مَرْحَلَتَيْنِ مِنَ البَلَدِ أَوْ ثَلاثٍ(٢).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحيىٰ الذُّهْلِيُّ فِيْ مَجْلِسِهِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ غَدًا فَلْيَسْتَقْبِلْهُ؛ فَإِنِّي أَسْتَقْبِلُهُ.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٨٥).

(٢) تاريخ دمشق (٥٢/٩١)، وسير أعلام النبلاء (١٠/١٠٥).

فَاسْتَقْبَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يحيىٰ وَعَامَّةُ عُلَمَاءِ نَيْسَابُوْرَ، فَدَخَلَ البَلَدَ، فَنَزَلَ دَارَ البُخَارِيِّينَ، فَقَالَ لَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يحيىٰ: لَا تَسْأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْكَلاَمِ فَإِنَّه إِنْ أَجَابَ بِخِلاَفِ مَا نَحْنُ عَلَيه وَقَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَشَمِتَ بِنَا كُلُّ نَاصِبِيٍّ وَرَافِضِيٍّ وَجَهْمِيٍّ وَمُرْجِئٍ بِخُرَاسَانَ.

قَالَ: فَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ حَتَّىٰ امْتَلَأَتِ الدَّارُ وَالسُّطُوحُ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِيْ أَوْ الثَّالِثُ مِنْ يَوْمِ قُدُوْمِهِ؛ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنِ اللَّفْظِ بِالقُرْآنِ، فَقَالَ: «أَفْعَالُنَا مَخْلُوْقَةٌ، وَأَلْفَاظُنَا مِنْ أفعالِنَا».

قَالَ: فَوقعَ بَيْنَ النَّاسِ اخْتِلاَفٌ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَالَ: «لَفْظِي بالقُرْآنِ مَخْلُوْقٌ»، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَقُلْ؛ فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ فِيْ ذَلِكَ اخْتِلاَفٌ؛ حَتَّىٰ قَامَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ.

قَال: فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الدَّارِ، فَأَخْرَجُوهُمْ[1].

وَقَالَ أَبُوْ أَحْمَدَ بْنُ عَدْيٍّ: ذَكَرَ لِيْ جِمَاعَةٌ مِنَ المَشَايِخِ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ لَمَّا وَرَدَ نَيْسَابُوْرَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَهُ؛ حَسَدَهُ بَعْضُ شُيُوخِ الْوَقْتِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِ الحَدِيْثِ: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ يَقُوْلُ: لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوْقٌ. فَلَمَّا حَضَرَ الْمَجْلِسَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا تَقُوْلُ فِيْ اللَّفْظِ بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ هُوَ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟. فَأَعْرَضَ عَنْهُ البُخَارِيُّ، وَلَمْ يُجِبْهُ ثُلَاثًا؛ فَأَلَحَّ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «القُرْآنُ كَلاَمُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَفْعَالُ العِبَادِ مَخْلُوقَةٌ، وَالِامْتِحَانُ بِدْعَةٌ». فَشَغَّبَ الرَّجُلُ وَقَال: قَدْ قَالَ:

---

(١) تاريخ دمشق (٥٢/٩٣)، وتاريخ الإسلام (٦/١٤٠).

«لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ»[١].

وقال الفِرَبْرِيُّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ إسماعِيْلَ يَقُولُ: إنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ، فَقَدْ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا أَبُوْ مَالِكٍ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ**»[٢].

قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَسَمِعْتُ عُبَيْدَ اللهِ بنَ سَعِيدٍ؛ يَعْنِي: أَبَا قُدَامَةَ السَّرَخْسِي يَقُولُ: مَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَصْحَابَنَا يَقُولُونَ: إِنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ، قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ: حَرَكَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ وَأَكْسَابُهُمْ وَكِتَابَتُهُمْ مَخْلُوْقَةٌ، فَأَمَّا الْقُرْآنُ الْمُبِيْنُ الْمُثْبَتُ فِي الْمَصَاحِفِ الْمُوْعَىٰ فِي الْقُلُوبِ فَهُوَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ[٣]. قال الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. قَالَ إِسْحَاقُ بنُ رَاهُويَه: أَمَّا الْأَوْعِيَةُ فَمَنْ يَشُكُّ أَنَّهَا مَخْلُوْقَةٌ[٤].

وَقَالَ أَبُو حَامِدِ بنُ الشَّرْقِيِّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ يَحْيَىٰ الذُّهْلِيَّ يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ زَعَمَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَلَا يُجَالَسُ وَلَا يُكَلَّمُ، وَمَنْ ذَهَبَ بَعْدَ هَذَا إِلَىٰ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ

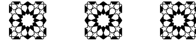
(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٢/٢٢٨)، وتاريخ الإسلام (٦/١٤٠).
(٢) خلق أفعال العباد للبخاري (١/٤٦).
(٣) تغليق التعليق (٥/٤٣٢)، وتاريخ بغداد (٢/٣٠).
(٤) تغليق التعليق (٥/٤٣٣)، وتاريخ دمشق (٥٢/٩٣).

فَاتَّهِمُوهُ، فَإِنَّهُ لَا يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِهِ(١).

وَقَالَ الْحَاكِمُ: وَلَمَّا وَقَعَ بَيْنَ الْبُخَارِيِّ وَبَيْنَ الذُّهْلِيِّ فِي مَسْأَلَةِ اللَّفْظِ انْقَطَعَ النَّاسُ عَنِ الْبُخَارِيِّ إِلَّا مُسْلِمَ بنَ الْحَجَّاجِ، وَأَحْمَدَ بنَ سَلَمَةَ.

قَالَ الذُّهْلِيُّ: أَلَا مَنْ قَالَ بِاللَّفْظِ فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَحْضُرَ مَجْلِسَنَا، فَأَخَذَ مُسْلِمٌ رِدَاءَهُ فَوْقَ عِمَامَتِهِ، وَقَامَ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ، فَبَعَثَ إِلَى الذُّهْلِيِّ جَمِيعَ مَا كَانَ كَتَبَهُ عَنْهُ عَلَى ظَهْرِ جِمَالٍ(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: وَقَدْ أَنْصَفَ مُسْلِمٌ، فَلَمْ يُحَدِّثْ فِي كِتَابِهِ عَنْ هَذَا وَلَا عَنْ هَذَا.



حرص البخاري على تلامذته وعدم إقحامهم في الفتن

قال أَحْمَدُ بنُ سَلَمَةَ النَّيْسَابُورِيّ: دَخَلْتُ عَلَى الْبُخَارِيِّ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنَّ هَذَا رَجُلٌ مَقْبُوْلٌ بِخُرَاسَانَ خُصُوصًا فِي هَذِهِ الْمَدِيْنَةِ، وَقَدْ لَجَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يُكَلِّمَهُ فِيهِ، فَمَا تَرَىٰ؟ قَالَ: فَقَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[غافر: ٤٤]، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُرِدِ الْمُقَامَ بِنَيْسَابُورَ أَشَرًا وَلَا بَطَرًا، وَلَا طَلَبًا لِلرِّيَاسَةِ،

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (٦/١٤٠)، وتغليق التعليق (٥/٤٣٣).

(٢) الكنىٰ والأسماء لمسلم (١/١٧)، وتاريخ بغداد (١٣/١٠٣)، وقد تُضبط بجَمَّال وفي بعض المصادر حمَّال بالمهملة وهي الأقرب كما في وفيات الأعيان (٥/١٩٥).

وَإِنَّمَا أَبَتْ عَلَيَّ نَفْسِي الرُّجُوعَ إِلَىٰ الْوَطَنِ لِغَلَبَةِ الْمُخَالِفِيْنَ، وَقَدْ قَصَدَنِي هَذَا الرَّجُلُ حَسَدًا لِمَا آتَانِيَ اللهُ لَا غَيَرَ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا أَحْمَدُ إِنِّي خَارِجٌ غَدًا لِتَخْلُصُوا مِنْ حَدِيثِهِ لِأَجْلِي(١).

وقال الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ الْأَخْرَمِ: لَمَّا قَامَ مُسْلِمُ بنُ الْحَجَّاجِ، وَأَحْمَدُ بنُ سَلَمَةَ مِنْ مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بنِ يَحْيَىٰ بِسَبَبِ الْبُخَارِيِّ، قَالَ الذُّهْلِيُّ: لَا يُسَاكِنُنِي هَذَا الرَّجُلُ فِي الْبَلَدِ؛ فَخَشِيَ الْبُخَارِيُّ وَسَافَرَ(٢).



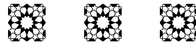
تكذيب البخاري ﵀ لمن نَسَبَ إليه أنه قال: (لفظي بالقرآن مخلوق)

قَالَ أَبو عَمْرٍو أَحْمَدُ بنُ نَصْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ الْخَفَّافُ بِنَيْسَابُورَ: كُنَّا يَوْمًا عَنْدَ أَبِي إِسْحَاقَ الْقُرَشِيِّ، وَمَعَنَا مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ، فَجَرَىٰ ذِكْرُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ زَعَمَ أَنِّي قُلْتُ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوْقٌ؛ فَهُوَ كَذَّابٌ، فَإِنِّي لَمْ أَقُلْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، قَدْ خَاضَ النَّاسُ فِي هَذَا، فَأَكْثَرُوا. فَقَالَ: لَيْسَ إِلَّا مَا أَقُولُ لَكَ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: فَأَتَيْتُ الْبُخَارِيَّ فَذَاكَرْتُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَدِيْثِ حَتَّى طَابَتْ نَفْسُهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، هَاهُنَا مَنْ يَحْكِي عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، احْفَظْ عَنِّي: مَنْ زَعَمَ مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ، وَسَمَّىٰ غَيْرَهَا

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/١١٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/١١٥).

مِنَ الْبُلْدَانِ بِلَادًا كَثِيرَةً أَنَّنِي قُلْتُ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ كَذَّابٌ، فَإِنِّي لَمْ أَقُلْهُ إِلَّا أَنِّي قُلْتُ: أَفْعَالُ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ(١).

وَقَالَ الْحَاكِمُ: سَمِعْتُ أَبَا الْوَلِيدِ حَسَّانَ بنَ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهَ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ نُعَيْمٍ يَقُولُ: سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بنَ إِسْمَاعِيلَ، لَمَّا وَقَعَ فِي شَأْنِهِ مَا وَقَعَ، عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: قَولٌ وَعَمَلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَفْضَلُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ؛ عَلَىٰ هَذَا حَيِيتُ، وَعَلَيْهِ أَمُوتُ، وَعَلَيْهِ أُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ(٢).



ذِكْرُ تَصَانِيْفِهِ وَالرُّوَاةِ عَنْهُ

تقدم ذكر الجامع الصحيح، وَذَكَرَ الْفَرَبْرِيُّ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهُ تِسْعُونَ أَلْفًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَنْ يَرْوِيهِ غَيْرُهُ(٣).

وَأَطْلَقَ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَىٰ مَا فِي عِلْمِهِ، وَقَدْ تَأَخَّرَ بَعْدَهُ بِتِسْعِ سِنِيْنَ أَبُو طَلْحَةَ مَنْصُورُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ قُرَيْبَةَ الْبَزْدَوِيُّ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، ذَكَرَ ذَلِكَ مِنْ كَوْنه رَوَىٰ الْجَامِعَ الصَّحِيْحَ عَنِ الْبُخَارِيِّ أَبُو نَصْرِ ابنِ مَاكُولَا وَغَيْرُهُ(٤).

---

(١) تاريخ بغداد (٢/٣١)، وطبقات الحنابلة (١/٢٧٧).
(٢) طبقات الحنابلة (١/٣١٣)، وتاريخ دمشق (٣٣/٤٣٧).
(٣) تاريخ بغداد (٢/١٠)، وطبقات الحنابلة (١/٢٧٤).
(٤) قال الذهبي في السير (١٥ /٢٨٠): قلتُ: هو آخر من حدّث بالصحيح عن المؤلف.

وَمِنْ رُوَاةِ الْجَامِعِ أَيْضًا مِمَّنِ اتَّصَلَتْ لَنَا رِوَايَتُهُ بِالْإِجَازَةِ: إِبْرَاهِيمُ بنُ مَعْقِلٍ النَّسَفِيُّ، وَفَاتَهُ مِنْهُ قِطْعَةٌ مِنْ آخِرِهِ رَوَاهَا بِالْإِجَازَةِ، وَكَذَلِكَ حَمَّادُ بنُ شَاكِرٍ النَّسَوِيُّ، وَالرِّوَايَةُ الَّتِي اتَّصَلَتْ بِالسَّمَاعِ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ وَمَا قَبْلَهَا هِيَ رِوَايَةُ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ بنِ مَطَرِ بنِ صَالِحِ بنِ بِشْرٍ الْفَرَبْرِيُّ.

وَمِنْ تَصَانِيْفِهِ أَيْضًا «الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ»، يَرْوِيْهِ عَنْهُ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الْجَلِيلِ -بِالْجِيْمِ- الْبَزَّارُ، وَ«رَفْعُ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ»، وَ«الْقِرَاءَةُ خَلْفَ الْإِمَامِ» يَرْوِيهِمَا عَنْهُ مَحْمُودُ بنُ إِسْحَاقَ الْخُزَاعِيُّ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ بِبُخَارَىٰ، وَ«بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» يَرْوِيْهِ عَنْهُ مُحَمَّدُ بنُ دَلَّوَيْهِ الْوَرَّاقُ، وَ«التَّارِيْخُ الْكَبِيرُ» يَرْوِيْهِ عَنْهُ أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ بنِ فَارِسٍ، وَأَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بنُ سَهْلٍ النَّسَوِيُّ وَغَيْرُهُ، وَ«التَّارِيْخُ الْأَوْسَطُ» يَرْوِيْهِ عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ السَّلَامِ الْخَفَّافُ، وَزَنْجَوَيْهِ بنُ مُحَمَّدٍ اللَّبَّادُ، وَ«التَّارِيْخُ الصَّغِيْرُ» يَرْوِيهِ عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَشْقَرُ، وَ«خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ» يَرْوِيهِ عَنْهُ يُوسُفُ بنُ رَيْحَانَ بنِ عَبْدِ الصَّمَدِ، وَالْفَرَبْرِيُّ أَيْضًا، وَكِتَابُ «الضُّعَفَاءِ» يَرْوِيهِ عَنْهُ أَبُو بِشْرٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَمَّادٍ الدُّوْلَابِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ شَيْخُ ابنُ سَعِيدٍ، وَآدَمُ بنُ مُوسَىٰ الْخُوَارِيُّ.

وَهَذِهِ التَّصَانِيْفُ مَوْجُوْدَةٌ مَرْوِيَّةٌ لَنَا بِالسَّمَاعِ أَوِ بِالْإِجَازَةِ.

وَمِنْ تَصَانِيْفِهِ أَيْضًا «الْجَامِعُ الْكَبِيرُ» ذَكَرَهُ ابنُ طَاهِرٍ، وَ«الْمُسْنَدُ الْكَبِيرُ» وَ«التَّفْسِيرُ الْكَبِيْرُ» ذَكَرَهُ الْفَرَبْرِيُّ، وَكِتَابُ «الْأَشْرِبَةِ» ذَكَرَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي

«الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ»[١] فِي تَرْجَمَةِ كَيسَةَ، وَكِتَابُ «الْهِبَةِ» ذَكَرَهُ وُرَّاقُهُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَ«أَسَامِي الصَّحَابَةِ» ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بنُ مَنْدَهْ[٢]، وَأَنَّهُ يَرْوِيهِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ فَارِسٍ عَنْهُ، وَقَدْ نَقَلَ مِنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغوِيُّ الْكَبِيرُ فِي «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» لَهُ، وَكَذَا ابْنُ مَنْدَهْ فِي «الْمَعْرِفَةِ»، وَنَقَلَ أَيْضًا مِنْ كِتَابِ «الْوُحْدَانِ» لَهُ، وَهُوَ مَنْ لَيسَ لَهُ إِلَّا حَدِيْثٌ وَاحِدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكِتَابُ «الْمَبْسُوطِ» ذَكَرَهُ الْخَلِيْلِيُّ فِي «الْإِرْشَادِ»[٣]، وَأَنَّ مَهْيَبَ بنَ سُلَيْمٍ رَوَاهُ عَنْهُ، وَكِتَابُ «الْعِلَلِ» ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ ابنُ مَنْدَهْ أَيْضًا، وَأَنَّهُ يَرْوِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حَمْدُونَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بنِ الشَّرْقِيّ عَنْهُ، وَكِتَابُ «الْكُنَى» ذَكَرَهُ الْحَاكِمُ أَبُو أَحْمَدَ[٤] وَنَقَلَ مِنْهُ، وَكِتَابُ «الْفَوَائِدِ» ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي أَثْنَاءِ كِتَابِ الْمَنَاقِبِ مِنْ «جَامِعِهِ»[٥].

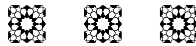
وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُ مِنْ مَشَايِخِهِ: عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْنَدِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ مُنِيرٍ، وَإِسْحَاقُ بنُ أَحْمَدَ السُّرْمَارِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ خَلَفِ بنِ قُتَيْبَةَ وَنَحْوُهُمْ[٦].

وَمِنْ أَقْرَانِهِ: أَبُو زُرْعَةَ وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيَّانِ، وَإِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بنِ أَبِي

(١) الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ للدارقطني (٤ /١٩٧٣).في ترجمة كَيسَة بنت أبي كثير.
(٢) معرفة الصحابة لابن منده (١/١٩٦).
(٣) الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٣/٩٧٣).
(٤) الكنى للحاكم (١/٤٠).
(٥) الجامع الكبير للترمذي (٥/٦٤٥).
(٦) سير أعلام النبلاء (١٢/٣٩٤)، وفتح الباب في الكنى والألقاب لابن منده (١/١٨٧).

عَاصِمٍ، وَمُوسَىٰ بْنُ هَارُونَ الْجَمَّالُ، وَمُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُطَيَّنٍ، وَإِسْحَاقُ بنُ أَحْمَدَ بنِ زَيرَكٍ الْفَارِسِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ قُتَيْبَةَ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الْأَعْيُنِ(١).

وَمِنَ الْكِبَارِ الْآخِذِيْنَ عَنْهُ مِنَ الْحُفَّاظِ: صَالِحُ بنُ مُحَمَّدٍ الْمُلَقَّبُ جَزَرَةُ، وَمُسْلِمُ بنُ الْحَجَّاجِ، وَأَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بنُ سَلَمَةَ، وَأَبُو بَكْرِ بنِ إِسْحَاقَ بنِ خُزَيْمَةَ، وَمُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ، وَرَوَىٰ أَيْضًا عَنْ رَجُلٍ عَنْهُ، وَأَبُو عِيسَىٰ التِّرْمِذِيُّ، وَتَلْمَذَ لَهُ وَأَكْثَرَ مِنَ الاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَعُمَرُ بنُ مُحَمَّدٍ الْبُحَيْرِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بنِ أَبِي الدُّنْيَا، وَأَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ، وَحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ الْقَبَّانِيُّ، وَيَعْقُوبُ بنُ يُوسُفَ بنِ الْأَخْرَمِ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ نَاجِيَةَ، وَسَهْلُ بنُ شَاذوَيْهِ الْبُخَارِيُّ، وَعُبَيْدُ اللهِ بنُ وَاصِلٍ، وَالْقَاسِمُ بنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ، وَأَبُو قُرَيْشٍ مُحَمَّدُ بنُ جُمْعَةَ، وَمُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سُلَيْمَانَ الْبَاغَنْدِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بنُ مُوسَىٰ الْجُوَيْرِيُّ، وَعَلِيُّ بنُ الْعَبَّاسِ التَّابِعِيُّ، وَأَبُو حَامِدٍ الْأَعْمَشُ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ صَدَقَةَ الْبَغْدَادِيُّ، وَإِسْحَاقُ بنُ دَاوُدَ الصَّوَّافُ، وَحَاشِدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الْجُنَيْدِ، وَمُحَمَّدُ بنُ مُوسَىٰ النَّهْرَتِيْرِيُّ، وَجَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بنُ أَبِي دَاوُدَ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ، وَأَبُو مُحَمَّدِ ابنُ صَاعِدٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ هَارُونَ الْحَضْرَمِيُّ، وَالْحُسَيْنُ بنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَحَامِلِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ بِبَغْدَادَ.

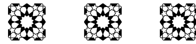


(١) سير أعلام النبلاء (١٢/٣٩٤)، وفتح الباب في الكنىٰ والألقاب لابن منده (١/١٨٧).

ذِكْرُ رُجُوعِهِ إِلَى بُخَارَى وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمِيرِهَا، وَمَا اتَّصَلَ بِذَلِكَ مِنْ وَفَاتِهِ

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الشِّيْرَازِيُّ: لَمَّا رَجَعَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبُخَارِيُّ إِلَىٰ بُخَارَىٰ نُصِبَتْ لَه الْقِبَابُ عَلَىٰ فَرْسَخٍ مِنَ الْبَلَدِ، وَاسْتَقْبَلَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الْبَلَدِ حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ مَذْكُورٌ، وَنُثِرَ عَلَيْهِ الدَّرَاهِمُ وَالدَّنَانِيْرُ، فَبَقِيَ مُدَّةً، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَمِيْرِ، فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ مِنْ بُخَارَىٰ فَخَرَجَ إِلَىٰ بِيْكَنْدِ(١).

وَقَالَ غُنْجَارُ فِي تَارِيْخِهِ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ بَكْرَ بنَ مُنِيْرٍ يَقُولُ: بَعَثَ الْأَمِيْرُ خَالِدُ بنُ أَحْمَدَ الذُّهْلِيُّ وَالِي بُخَارَىٰ إِلَىٰ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ أن احملْ إِلَيَّ كِتَابَ الْجَامِعِ وَالتَّارِيخِ لِأَسْمَعَ مِنْكَ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ لِرَسُولِهِ: قُلْ لَهُ: إِنِّي لَا أُذِلُّ الْعِلْمَ، وَلَا أَحْمِلُهُ إِلَىٰ أَبْوَابِ السَّلَاطِيْنِ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ فَلْيَحْضُرْنِي فِي مَسْجِدِي، أَوَ فِي دَارِي، فَإِنْ لَمْ يُعْجِبْكَ هَذَا فَأَنْتَ سُلْطَانٌ؛ فَامْنَعْنِي مِنَ الْمَجْلِسِ؛ لِيَكُونَ لِي عُذْرٌ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنِّي لَا أَكْتُمُ الْعِلْمَ. قَالَ: فَكَانَ سَبَبَ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُمَا(٢).



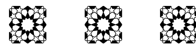
---

(١) بالكسر، وفتح الكاف، وسكون النون؛ بلدة بين بخارىٰ وجيحون، علىٰ مرحلة من بخارىٰ، لها ذكر في الفتوح، وكانت بلدة كبيرة حسنة كثيرة العلماء. معجم البلدان (٥٣٣/١).

(٢) تاريخ بغداد (٣٢/٢)، وتاريخ دمشق (٩٧/٥٢) تغليق التعليق (٤٣٩/٥).

دعاء البخاري ﵀ على من آذاه[١]

قَالَ الْحَاكِمُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ الْعَبَّاسِ الضَّبِّيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بنِ أَبِيْ عَمْرٍو يَقُولُ: كَانَ سَبَبُ مَفَارَقَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبُخَارِيِّ الْبَلَدَ أَنَّ خَالِدَ بنَ أَحْمَدَ خَلِيْفَةَ ابنِ طَاهِرٍ سَأَلَهُ لِيَحْضُرَ مَنْزِلَهُ، فَيَقْرَأُ التَّارِيْخَ وَالْجَامِعَ عَلَىٰ أَوْلَادِهِ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: لَا يَسَعُنِي أَنْ أَخُصَّ بِالسَّمَاعِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ آخَرِيْنَ، فَاسْتَعَانَ خَالِدٌ بِحُرَيْثِ بنِ أَبِي الْوَرْقَاءِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ بُخَارَىٰ حَتَّىٰ تَكَلَّمُوا فِي مَذْهَبِهِ؛ فَنَفَاهُ عَنِ الْبَلَدِ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَرِهِمْ مَا قَصَدُونِي بِهِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَهَالِيْهِمْ، قَالَ: فَأَمَّا خَالِدٌ فَلَمْ يَأْتِ عَلَيْهِ إِلَّا أَقَلُّ مِنْ شَهْرٍ حَتَّىٰ وَرَدَ أَمْرُ الطَّاهِرِيَّةِ[٢] بِأَنْ يُنَادَىٰ عَلَيْهِ، فَنُودِيَ عَلَيْهِ وَهُوَ عَلَىٰ أَتَانٍ وَأُشْخِصَ عَلَىٰ إِكَافٍ، ثُمَّ صَارَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَىٰ الذُّلِّ وَالْحَبْسِ، وَأَمَّا حُرَيْثُ بنُ أَبِيْ الْوَرْقَاءِ فَإِنَّهُ ابْتُلِيَ فِي أَهْلِهِ فَرَأَىٰ فِيْهَا مَا يَجِلُّ عَنْ وَصْفِهِ، وَأَمَّا فُلَانٌ فَإِنَّهُ ابْتُلِيَ فِي أَوْلَادِهِ فَأَرَاهُ اللهُ فِيْهِمُ الْبَلَايَا[٣].



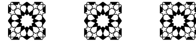
(١) ومن العجيب أنه علىٰ مرّ التأريخ، ما من أحد تكلم في البخاري ولا في جامعه الصحيح بسوء وتنقيص وتهكّم؛ إلا جعل الله -عز وجل- دعوة البخاري جارية وكأنه حيّ بين أظهرنا ونجد من يدافع عنه وينبري لنصرته، كما نجد أن من يفري هذه الفرية عليه يصيبه من الله من الذل والهوان والصّغار وكره الناس له، فسبحان الله العظيم.

(٢) في الأصل الظاهرية وهو تصحيف والطّاهِرية دولة تنسب إلىٰ طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق و كانت مدتها ما بين (٢٠٥ - ٢٥٩) من الهجرة.

(٣) تاريخ بغداد (٢/٣٢)، وتاريخ دمشق (٥٢/٩٦)، وتهذيب الكمال (٢٤/٤٦٤).

حبه للقاء الله

قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْقُدُّوسِ بنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ يَقُولُ: خَرَجَ الْبُخَارِيُّ إِلَىٰ خَرْتَنْكَ[١]؛ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَىٰ سَمَرقَنْدَ[٢]، وَكَانَ لَهُ بِهَا أَقْرِبَاءُ فَنَزَلَ عِنْدَهُمْ. قَالَ: فَسَمِعْتُهُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، وَقَدْ فَرَغَ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ، قَالَ: فَمَا تَمَّ الشَّهْرُ حَتَّىٰ قَبَضَهُ اللهُ[٣].



موته رحمه الله ووصيته
وذكر ما حصل من كرامة عند قبره

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي حَاتِمٍ الْوَرَّاقُ: سَمِعْتُ غَالِبَ بنَ جِبْرِيلَ، وَهُوَ الَّذِي نَزَلَ عليه الْبُخَارِيُّ بَخَرْتَنْك يَقُولُ: إِنَّهُ أَقَامَ أَيَّامًا فَمَرِضَ حَتَّىٰ وُجِّهَ إِلَيْهِ

---

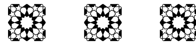
(١) بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وفتح التاء المثناة من فوق، ونون ساكنة، وكاف: قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ، بها قبر إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري. معجم البلدان (٢/٣٥٦). ولا زال قبره معروفًا ظاهرًا حتىٰ اليوم في سمرقند وهي اليوم تحت سيطرة الروس أعادها الله إلىٰ ديار الإسلام.

(٢) بفتح أوّله وثانيه، ويقال لها بالعربيّة سمران: بلد معروف مشهور، قيل: إنّه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر. معجم البلدان (٣/٢٤٦).

(٣) تاريخ الإسلام (٦/١٤٠)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/١٠٨).

رَسُولٌ مِنْ أَهْلِ سَمَرَقَنْدَ يَلْتَمِسُونَ مِنْهُ الْخُرُوجَ إِلَيْهِمْ، فَأَجَابَ وَتَهَيَّأَ لِلرُّكُوبِ، وَلَبِسَ خُفَّيْهِ وَتَعَمَّمَ، فَلَمَّا مَشَىٰ قَدْرَ عِشْرِينَ خُطْوَة، أَوْ نَحْوَهَا إِلَىٰ الدَّابَّةِ لِيَرْكَبَهَا وَأَنَا آخِذٌ بِعَضُدِهِ قَالَ: أَرْسِلُونِي فقد ضَعُفتُ، فَأَرْسَلْنَاهُ، فَدَعَا بِدَعَوَاتٍ، ثُمَّ اضَّطَجَعَ فَقَضَىٰ، ثُمَّ سَالَ مِنْهُ عَرَقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ قَدْ قَالَ لَنَا: كَفِّنُونِي فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ، قَالَ: فَفَعَلْنَا، فَلَمَّا أَدْرَجْنَاهُ فِي أَكْفَانِه وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ، وَوَضَعْنَاهُ فِي حُفْرَتِهِ، فَاحَ مِنْ تُرَابِ قَبْرِهِ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ كَالْمِسْكِ وَدَامَتْ أَيَّامًا، وَجَعَلَ النَّاسُ يَخْتَلِفُونَ إِلَىٰ الْقَبْرِ أَيَّامًا يَأْخُذُونَ مِنْ تُرَابِهِ إِلَىٰ أَنْ جَعَلْنَا عَلَيْهِ خَشَبًا مُشَبَّكًا[1].

قال عَبْدُ الْوَاحِدِ بنِ آدَمَ الطَّوَاوِيْسِيُّ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَوْضِعٍ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: مَا وُقُوفُكَ هُنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: أَنْتَظِرُ مُحَمَّدَ بنَ إِسْمَاعِيْلَ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ بَلَغَنِي مَوْتُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي رَأَيْتُ فِيْهَا النَّبِيَّ ﷺ.



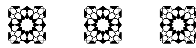
(١) سير أعلام النبلاء (١٠/١١٩)، وطبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٢/٢٣٤)

تأريخ وفاته

قَالَ مَهِيبُ بنُ سُلَيْمٍ: كَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ السَّبْتِ لَيْلَةَ عِيْدِ الْفِطْرِ سَنَةَ سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ[(١)].

وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ بنُ الْحُسَيْنِ الْبَزَّارُ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ، وَفِيْهَا أَرَّخَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ ابنُ الْقَانِعِ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ بنُ الْمُنَادِي، وَأَبُو سُلَيْمَانَ بنُ الزَّبْرِ، وَآخَرُونَ.

قَالَ الْحَسَنُ: وَكَانَتْ مُدَّةُ عُمْرِهِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّيْنَ سَنَةً إِلَّا ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا. تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، آمِيْنَ.



(١) تاريخ بغداد (٢/٣٣)، وتهذيب الكمال (٢٤/٤٦٧).

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبكرمه تنال الهبات ففي هذا اليوم الفضيل الأربعاء لستٍّ خلون من شهر رجب لعام أربعين وأربعمائة وألف من الهجرة وحيث كان كتابي الأول «صحيح الدعاء المستجاب» قد نفدت طبعته الأولىٰ وقد صدر كتابي الثاني «براعة الختم عند الإمام البخاري في كتابه الجامع الصحيح» ليكون في متناول الأمة وقريبًا إن شاء الله تعالىٰ كتاب «مختصر كتاب العلم من صحيح البخاري» فأقول: قد فرغت من مراجعة كتاب «سيرة الإمام البخاري من كتاب هُدىٰ الساري للحافظ ابن حجر ﷺ» وقد سعيت حثيثًا أن أبرز الكتاب كما هو فلا أطيل في الحاشية ولا أنبه إلا علىٰ مالا بد منه كما زيّنته بتبويبات نافعة -إن شاء الله -تقرّب بعض مضمون الكتاب، فكان الذي بين أيديكم. كما أشكر زوجتي (أم عماد) حفظها الله التي باتت تسهر معي اللّيالي علىٰ هذا الكتاب فكانت تقرأ وأنا أصحح وأدقق.

وإني أسأل الله أن يرزقني فهم كتابه وسنة نبيه ﷺ والدفاع عنها والموت علىٰ ذلك.

إن تجد عيبًا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

✍ وكتب

مساعد بن حامد زين الزهراني

٦ - ٧ - ١٤٤٠هـ

الفهرس